

الباب الخامس

العصر الحديث

الفصل الأول

نظرة عامة

ما زال الزمن الجائر ينقص من أطراف الرقعة العربية حتى قصرها في أواخر القرن الثامن عشر على العراق العربي والشام وبلاد العرب ومصر والسودان والمغرب: وفي تلك البلاد بقي النفس الأخير من أنفاس اللغة العربية يتردد في وناء وضعف، حتى أذن الله لشمس الحضارة أن تشرق ثانية على ربوع النيل، فأرفض عنها الوهن وسرت فيها الحياة. ففي مصر كان ملاذها وغيائها، وفي مصر كان بقاءها وأنبعاؤها!

كانت مصر في ذلك العهد تحت سلطان العثمانيين حكماً، وتحت سيطرة المماليك فعلاً. وكانت الأهواء المختلفة، والقوى المتضاربة، والأجناس المتباينة، تنخر في هيكل هذه الأمة البائسة، فكان عددها لا يبلغ ثلاثة ملايين فشت فيهم الأمية. وأستولى عليهم الجهل وألحت عليهم الأوباء والسنون. وأستغلهم الظلم وأستعبدتهم الحكام. ووقفوا عن السير بأنفسهم، وتحرك الفلك، فغزاهم على هذه الحال الأليمة نابليون.

غزا نابليون مصر سنة ١٧٩٨، وليس من شأننا أن نعرض لهذه الغزوة إلا من جهتها الأدبية. فإن الجماعة العلمية التي صحبت هذا القائد العظيم لم تصدها القلاقل والحرب عن غرس بذور الحضارة في مصر، فأنشأوا مدرستين وجريدتين ومسرحاً للتمثيل، ومجمعاً علمياً، ومكتبة، ومطبعة، ومعامل كيميائية ومراصد فلكية، وسهلوا للناس النظر إليها، والوقوف عليها. فكان صنيع هذه الجماعة أشبه بالقبس الوضاء سطع في ذلك الغيب الذي احلوك في سماء مصر فبدده، وأستطاع الناس أن ينظروا؛ ولكن ماذا رأوا؟ رأوا أنهم في القرن التاسع عشر، وأن الغرب واقف منهم موقف الإنسان العاقل من الحيوان الأعجم يرميهم بنظرات السخرية وهو دائب في سبيل الحياة الصحيحة، مجد في تذليل المادة، فبهتوا ودهشوا.

ولكن محمد علي رأس الأسرة الخديوية لم يدهش: بل علم أن ما في الغرب من حضارة وعمارة إنما أساسه العلم. وأكبر ما تركه الفرنسيون بمصر من الآثار الصالحة والأبحاث النافعة على اضطراب حالهم وقصر احتلالهم، وكان في نفسه الطموح إلى الملك، والاستعداد بحكم مصر والاستعداد له. فأخذ في تعليم المصريين وقد عزز فيهم القارىء، فأنشأ المدارس المختلفة الدرجات والغايات في المدائن والقرى وساق الناس إليها قسراً. وأستقدم طائفة من علماء فرنسا للتدريس والتأليف. كالدكتور كلوت بك مؤسس الطبية، وجومار بك مدير البعثة المصرية. وبعث بمن أنجبت تلك المدارس إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ ليستفيدوا ويستزيدوا. فلما عاد أولئك الطلبة وكانوا أربعة وأربعين أخذوا في الترجمة والتعليم. ثم توالى البعث بعد هؤلاء إلى أوروبا وكلهم من الأزهر الشريف. وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة ساعدتها اليوم على النهوض كما حماها من قبل دون السقوط. وفتحت في القاهرة مدرسة الألسن ودار الترجمة، وأقيمت المطبعة المصرية على أنقاض المطبعة الأهلية التي جاء بها الفرنسيون إلى مصر وذهبت بذهابهم. وأنشئت الوقائع المصرية وهي أول صحيفة عربية في الشرق، فكان ذلك كله وقوداً جزلاً للقبس الذي ألقاه نابليون بمصر ونفخ فيه محمد علي فدكا وأشتعل وأمتد لهيبه إلى الشام إلى سائر بلاد العرب فأيقظ النيام وبدد الظلام. وَحَدَى الأمير بشير الشهابي في لبنان حذو محمد علي في مصر، وأعانه على ذلك دعاة النصرانية من الأمريكان والفرنسيين بإنشائهم المدارس والمطابع وتأليفهم الكتب، وإصدارهم المجلات وتعليمهم التمثيل، وأعتمدهم في كل أولئك على اللغة العربية، حتى تخرج في معاهدهم صفوة الكتاب والشعراء والمترجمين والصحفيين من أهل لبنان، فتكاتف القطران على إحياء اللغة والعلوم، فترجمت الكتب العلمية، ونشرت المؤلفات العربية، ودب في اللغة ديب الحياة؛ إلا أن آدابها وعلومها لم تزل في يد العفاء؛ لأن محمداً علياً كان مصروف الهم إلى ما يُعوزُه، كالعلوم الحربية والطبية والصناعية والرياضية، قانعاً من كتابه وعماله باللسان العامي، والأسلوب الاصطلاحي. فكانت لغة الدواوين في عهده وعهد أخلافه خليطاً مبهماً معجماً من التركية والعربية.

على أن اللغة المصرية لم تعد في ذلك العصر أنصاراً. فقد كان لها من أمثال الشيخ حسن العطار، وبطرس كرامة، والسيد علي الدرويش، ورفاعة بك الطهطاوي، من حفظوا كيانها وجددوا بيانها.

وأخذت هذه النهضة المباركة تنمو وريداً حتى ولي الأمر عباس ثم سعيد، فحبا أوارها، ووقف تيارها، لرغبة هذين الأميرين عن العلم والتعليم.

فلما جلس إسماعيل على أريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ م فتح ما أغلق من المعاهد وزاد

عليها. فأنشأ المدارس للعلوم والهندسة والطب والحرب، وعاد إلى إرسال البعث إلى أوروبا، وأسس نظارة المعارف وعهد إليها أمر التعليم، وأنشأ المكتبة الخديوية، وبنى مدرسة المعلمين، وبسط يده للمؤلفين، ونشر ألوية المدنية والسكينة على ربوع البلاد، فنزح إليها الأجانب للكسب والتجارة، وفيهم العلماء والأدباء؛ فكان اختلاط هؤلاء بالمصريين، وكثرة المطابع، ووفرة المدارس، وانتشار الصحافة، وأقتباس التمثيل، وترجمة العلوم، والأندية الأدبية، والمجامع العلمية، وتعلم اللغات الأجنبية؛ ونقل الحضارة الأوروبية، والحرية الشخصية، كان كل أولئك سبباً في خصب القرائح، وسعة المدارك، ونهوض اللغة، وحياء الأدب.

ثم دهانا الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ م وكل شيء يتحفز للنهوض ويتوثب إلى الرقي، فكأنما ألقيت ماء على نار، أو أقيمت سداً في تيار. كانت الحركة العلمية في أواخر عهد إسماعيل واسعة النطاق، والمدارس وافرة العدد، واللغة العربية لسان التعليم ولغة التأليف، فأخذ الإنجليز منذ آغتصبوا السلطان يقطعون أسباب النهضة، ويسيروا بالتعليم إلى وجهة أخرى. فأغفلوا البعث، وأغلقوا مدرسة الألسن، وأبطلوا المجانية، وأهملوا اللغة العربية، وجعلوا التعليم كله بالإنجليزية، وقصروه على تخريج عمال للحكومة لا إعداد رجال للشعب.

ولكن الأمة المصرية قد استطاعت أن تقف على رجلها، وأن تمسح بعينيها بيديها، فلم ترض النكوص والعالم يتقدم. فهبّ رجالها يطلبون سيادة لغتهم في بلادهم. ويقومون هم بتعليم أولادهم، فعادت اللغة إلى المدارس، ورجعت البعث إلى أوروبا، وكثرت المدارس الأهلية والأميرية. وشبت ثورة الاستقلال في وجه الاحتلال سنة ١٩١٩ م وردد العالم العربي صداها، فأيقظت ما بقي من شعور خامد، ودفعت النفوس الخانعة إلى طلب الحرية في الحكم، والرأي، والقول، والعقيدة حتى ظفرت مصر من ذلك بقسط موفور في دستورها الذي نالته سنة ١٩٢٣ م.

ثم تابعت الجهاد في سبيل حريتها واستقلالها حتى نالت قسطاً آخر بمعاهدة سنة ١٩٣٦. ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥ طلبت مصر من انجلترا تغيير هذه المعاهدة فجرت بين الحكومتين المصرية والإنجليزية أحداث طويلة لم تؤد إلى اتفاق، لأن مصر أرادت أن تبني المعاهدة الجديدة على أساسين من وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري، وجلاء الجيش الإنجليزي عن وادي النيل. وعارضت انجلترا في الأساس الأول فالتجأت مصر إلى هيئة الأمم المتحدة وظاهرتها دول الجامعة العربية. فلما عرضت قضيتها على مجلس الأمن بأمريكا، وتولى عرضها رئيس حكومتها، وكان يومئذ المغفور له محمود فهمي النقراشي، قطع لسان الباطل بالحق، وفند دعاوى

الإنجليز بالحجج الدامغة؛ ولكن مصانعة الدول لشيخة الاستعمار علق القضية فلم يفصل فيها حتى شبت ثورة الجيش المصري بقيادة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فعصفت بالفساد والاستبداد، وطهرت البلاد من فجور الملك وشروع الحكم وطغيان الغنى فطردت فاروقاً ثم أعلنت الجمهورية وحددت الملكية واضطرت الإنجليز إلى الجلاء عن القناة بعد أن اتفقت الدولتان على أن يقرر السودان مصيره بنفسه فيما أن يستقل بأمره وإما أن يتحد مع مصر، وقد اختار الاستقلال وأعلن الجمهورية.

وفي شهر فبراير عام ١٩٥٨ اندمجت مصر وسورية في وحدة تامة باسم الجمهورية العربية المتحدة. وكذلك استقل لبنان وطبق على شعبه النظام الجمهوري وفي الرابع عشر من يوليو من سنة ١٩٥٨ ثار العراق على الملكية وأعلن الجمهورية، ولا تزال فلسطين والجزائر وجنوب الجزيرة العربية يتطلبون الغاية من هذه السبيل، ويترقبون الإصباح بعد الليل المظلم الطويل:

الفصل الثاني

وسائل النهضة الحديثة

كان من آثار الاحتلال الفرنسي ، ونزعة الاستقلال عند محمد علي ، أن أشرقت من جانب الغرب ومضات من نور المعرفة في آفاق مصر ولبنان فهبت البلاد تسير على ضوئها وتعمل على هداها - تلك الومضات هي الوسائل التي تدرع بها رأس الأسرة العلوية وورائيه على عرش مصر إلى ترقية الجيش وتنشئة الحكومة وتربية الشعب من طريق غير مباشر، وأهم تلك الوسائل :

١ - المدارس

لم يجد محمد علي فيما يُعَلَّم يومئذ بالأزهر من علوم الدين واللسان بغيته من علوم الحرب والطب والرياضة ، فأنشأ المدارس العلمية المختلفة وقسمها إلى ابتدائية وتجهيزية وخاصة ، ووصل بينها وبين أوروبا يجلب العلماء منها ويبعث البعث إليها . فلما تعددت درجاتها وتنوعت أغراضها أنشأ لها إدارة خاصة في سنة ١٨٣٩ سميت ديوان المدارس كانت رياسته الأولى لمصطفى مختار بك من رجال البعثة العلمية الأولى . ومن أقوى المدارس الخاصة أثراً في النهضة العلمية والأدبية مدرسة الطب ومدرسة الألسن ومدرسة دار العلوم . فأما مدرسة الطب فقد أنشئت لخدمة الجيش سنة ١٨٣٦ في أبي زعبل وأقيم بجانبها مستشفى لتمرين الطلاب ومعالجة المرضى . استقدم أساتذتها من فرنسا برياسة الدكتور كلوت بك ، واختير طلبتها من المصريين وغيرهم ثم نقلت في سنة ١٨٣٨ إلى قصر ابن العيني بالقاهرة وإلى هذه المدرسة يرجع أكثر الفضل في إحياء اللغة العربية ووصلها بالثقافة الحديثة ؛ لأن الأساتذة كانوا يلقون دروسهم باللغة الفرنسية ثم تؤدى في الوقت نفسه إلى الطلاب باللغة العربية ، وكان ذلك يضطر المترجمين من المغاربة واللبنانيين والأرمن إلى البحث عن المصطلحات في المعجمات اللغوية والكتب الفنية القديمة .

وأما مدرسة الألسن فقد أنشأها محمد علي لتخريج المترجمين حين اشتدت الحاجة إليهم في ترجمة الدروس إلى الطلاب ، ونقل الكتب الطبية والعسكرية إلى العربية . وجعل

إدارتها إلى المرحوم رفاعه بك الطهطاوي . حتى إذا خرَّجت طائفة من أفاضل المترجمين تألف منهم قلم للترجمة سنة ١٨٤٢ برياسة رفاعه بك أضطلع بترجمة كثير من الكتب العلمية الأجنبية في مختلف العلوم الحديثة .

وأما دار العلوم فقد أسسها المرحوم علي مبارك في سنة ١٨٧١ م بأمر الخديو اسماعيل ليتخصص طلابها في العلوم العربية، ويشاركوا في بعض العلوم الدينية والعقلية، ويأخذوا بقسط من الثقافة الحديثة، وليعلموا بعد تخرجهم فيها اللغة والدين في مدارس الحكومة . وكان أساتذتها من نابغي شيوخ الأزهر، وتلاميذها من متقدمي طلابه . ولهذه المدرسة الفضل العظيم والأثر البالغ في ترقية اللغة وإنهاض الأدب وإشاعة الفصحى على السنة خريجها وأقلام في التعليم والتأليف والكتابة والشعر والخطابة . وقد ظلت مستقلة منذ إنشائها تحمّل أمانتها وتؤدي رسالتها حتى ألحقت بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٦ وسميت كلية دار العلوم .

٢ - الجامعة الأزهرية

الأزهر أول جامع في القاهرة، وأقدم مدرسة في مصر، ومن أعرق الجامعات الكبرى في العالم بناه جوهر الصقلي بعدما خط القاهرة، لإقامة الشعائر الدينية وتأييد الشيعة العلوية من طريق الدين . وحشد إليه أساطين الفقه ونوابغ العلم من أقطار الأرض، وأدر عليهم أخلاف الرزق، ورفع عنهم أكلاف الحياة، دون حساب ولا تقرير، حتى جاء يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله، وهو يهودي قد أسلم وتفقه، فرتب لهم الوظائف وابتنى لهم المساكن على مقربة من الجامع . ثم أخذ هؤلاء الفقهاء يقرأون بعد كل صلاة فقه الشيعة، ويأخذون في سبيل الوعظ، ويميلون إلى شيء من البحث، ويتكلمون في مسائل اللغة والنحو، ويعقدون فيه مجلس المناظرة، حتى زالت دولة الفاطميين، وغلب على مصر زعيم الأيوبيين صلاح الدين سنة ٥٦٧ وهو من أهل السنة فبايع العباسيين، وأحل الفقه الشافعي محل الفقه الشيعي في الأزهر . وقرر فيه كذلك فقه أبي حنيفة لأنه مذهب الخلفاء في بغداد . ورأى صلاح الدين أن يؤلف قلوب المسلمين كافة فأجاز تدريس المذاهب الأربعة فيه . وجرّد ذلك إلى بسط العلوم اللغوية والأدبية، والإلمام بالعلوم الرياضية والطبيعية . وزها الأزهر في عهد المماليك بعد سقوط بغداد وانتقال الخلافة والثقافة إلى مصر، فحفظ اللغة من الزوال، وعلومها من الاضمحلال . وظل وحده يرسل أشعة العلم والدين إلى أنحاء العالم الإسلامي، لا يخرج عالم إلا منه، ولا ينبغ كاتب ولا شاعر إلا فيه . حتى أدركته الغفوة الشرقية العامة في عهد بني عثمان فتجدد العالم وتقدم العلم وأرتقى التعليم وهو جامد على حاله القديم، باق على مذهبه الموروث . ومع ذلك فقد كان رجاله في صدر العصر الحديث عدة نابليون في تنظيم عمله، وساعد محمد علي في تحقيق أمله، وموئل

اللغة والدين والآداب من عصف المحن وطغيان الجهالة وتغلب الأمية . ولكن مصر هبت من رقادها، ولم تجد الأزهر كما كان كفؤاً لقيادتها وإرشادها، فولت وجهها شطر الغرب تكرر من حياضه وتقطف من رياضه، حتى اتسعت مسافة الخلف بين التعليم الجديد والتعليم القديم، وانتشرت في مصر ثقافتان مختلفتان تناهض إحداهما الأخرى . ثقافة قائمة على الكتب القديمة والطرق العقيمة، وثقافة مبنية على العلم الغربي والتعليم الحديث؛ فلم يكن بد من إصلاح الأزهر ليشارك في النهضة العامة . بدأت الحكومة الخديوية ذلك في عهد شيخه الشيخ الإنباي سنة ٣٠٥ هـ فأدخلت فيه بعض العلوم الحديثة بعد ولأى ومشقة وفتوى شرعية ثم تصدى الإمام الكبير محمد عبده لإصلاحه، فوضع الأساس، وحال الأزهريون بينه وبين البناء . ولكن السيل جازف والتيار قوي فلم يستطع أهله الوقوف في سبيله، فألقوا السلاح، وقبلوا الإصلاح، ولكن إصلاحه استعصى على المصلحين لعوامل سياسة وأخرى دنيوية . فآثروا العافية وفوضوا أمره إلى الزمن .

ثم قسم الأزهر الآن إلى معاهد للتعليم الابتدائي، وأخرى للتعليم الثانوي، وجعل التعليم العالي فيه فروعاً، فكلية للشريعة، وكلية للغة العربية، وكلية لأصول الدين، وقد أنشئت لهذه الكليات دور خاصة منفصلة من الأزهر . ونمت موارده حتى بلغت في العام مئات الألوف من الجنيهات، وزاد طلابه حتى نيفوا على عشرين ألف طالب يساعدهم بالمال والمسكن ومن بينهم العربي والتركي والسوداني والمغربي والإيراني والسعودي والعراقي والهندي والباكستاني والأندونيسي والشركسي والأفغاني وكلهم يتعلمون باللغة العربية ويتغذون بالثقافة الإسلامية، ولهؤلاء أقيمت مدينة على القرب من الأزهر يجد فيها الطلاب الأغراب الغذاء والمأوى .

٣ - الجامعة المصرية

كان من أثر سوء النية الذي بدا من المحتلين في سياسة التعليم بمصر وحصره في دائرة ضيقة من نواحي الثقافة، وقصره على تخريج الموظفين للحكومة، أن صحت عزيمة المصريين الأحرار على أن يقوموا هم بتعليم أولادهم، وأن يقيموا للعلم الصحيح وزناً في بلادهم، فأجتمعت طائفة منهم سنة ١٩٠٦ على إنشاء جامعة أهلية تقضي حاجة البلاد من التعليم . وأهابوا بأبناء مصر أن يعاونوا ببذل المال على إنجاز هذا المسعى الخطير، فلبى المحسنون النداء وفي طليعتهم الأميرة فاطمة بنت إسماعيل . وفي سنة ١٩٠٨ افتتحت الجامعة المصرية وأسندت رئاسة الشرف فيها إلى الأمير أحمد فؤاد قبل أن يستوي على عرش مصر . فاستقدم إليها طائفة من علماء أوروبا، وأختار لها صفوة من أدياء مصر، فألقوا على طلبتها من الأزهرين والموظفين محاضرات قيمة في الآداب والفلسفة : وكان من بين

العلماء الأوروبيين المستشرقون جويدي ونلينو ولتمان فنهجوا لدراسة الأدب العربي وتاريخه المنهج القويم الواضح .

وفي سنة ١٩٢٥ تولتها وزارة المعارف فشادت لها الأبنية العظيمة، وأقتست لها الأنظمة الأوروبية الحديثة، وضمّت إليها كليات الحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة والصيدلة وطب الأسنان، وكانت من قبل ذلك إنما تتألف من كلية العلوم وكلية الآداب، ثم سميت بجامعة القاهرة. ولما اشتدت الرغبة في التعليم وازداد عدد الطلاب أنشئت في الإسكندرية جامعة ثانية سميت بجامعة الإسكندرية وأقيمت في القاهرة جامعة ثانية سميت بجامعة عين شمس. وفي أسيوط جامعة رابعة سميت بجامعة أسيوط. ومما لا ريب فيه أن هذه الجامعات الأربع جامعة الأزهر وجامعة دمشق قد آتت ثمار العلم، ونشرن أصواء الثقافة ووصلن الماضي بالحاضر، وربطن الشرق بالغرب، وقرن العلم بالعمل، ووجهن الحضارة العربية الوجهة الصحيحة.

٤ - الطباعة

اخترع الطباعة بالحروف «حنا جومبرج» الألماني سنة ١٤٤٠، فكان لاختراعه من الأثر في الأدب والحضارة ما كان. وما كادت تشتهر الطباعة بالحروف في أوروبا حتى صيغت منها قوالب للغات الشرقية. وطبع أول كتاب باللغة العربية سنة ١٥١٤ م وأخذت المطبوعات الشرقية ولا سيما العربية تزداد شيئاً فشيئاً حتى صدرت عن أكثر العواصم الأوروبية. وكان منها المؤلفات الجليلة كالعهدين القديم والجديد، ونزهة المشتاق للإدرسي. وقانون ابن سينا، وتحرير أصول إقليدس وما زالت تطبع فيها نفائس الكتب المخطوطة إلى الآن. ثم دخلت الطباعة الشرق عن طريق الآستانة ١٤٩٠ م على يد عالم يهودي طبع بها مؤلفات دينية وعلمية؛ ولكن الحروف العربية لم تظهر فيها إلا سنة ١٧٠٨ م. ومن أشهر المطابع العربية في الآستانة «مطبعة الجوائب» لأحمد فارس الشدياق؛ طبع فيها طائفة كبيرة من عيون الكتب الأدبية. أما في البلاد العربية فكان سبق للبنان في استعمال المطبعة بفضل دعاء المسيحية؛ فقد أسس الرهبان اللبنانيون أول مطبعة ببيروت في أوائل القرن السابع عشر. ثم أسست بها المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٤٨ م، ولها الأثر الجليل والفضل الجزيل في نشر المخطوطات العربية القديمة، وطبع الكتب الأدبية والعلمية، وإتقان فن الطباعة العربية، ثم تلت مصر لبنان فدخلتها الطباعة على يد نابليون سنة ١٧٩٨ م، إذ جاء بمطبعة لطبع المنشورات والأوامر بالعربية وسماها «المطبعة الأهلية» ثم ذهب مع. وأقام محمد علي على أنقاضها المطبعة الأهلية (مطبعة بولاق) سنة ١٨٢١. وعهد بإدارتها إلى نقولا مسابكي السوري، وصبت حروفها على جمل قاعدة نسخية من حجوم مختلفة. ثم صبت ثانية على قاعدة المرحوم جعفر بك كبير الخطاطين في مصر، وهي المستعملة الآن. وقد طبعت نحو

ثلثمائة كتاب في الرياضيات والطب والجراحة مما ترجم عن اللغات الأجنبية وطبعت أمهات الكتب الأدبية بفضل (القسم الأدبي) الذي فصل عنها ووصل بدار الكتب المصرية. ومنذ يومئذ اقتضت مطبعة بولاق على طبع (الوقائع المصرية) والكتب المدرسية والأعمال الحكومية، وهي الآن أكبر مطبعة عربية في العالم. ثم انتشرت بعد ذلك المطابع في مصر فسهلت سبل الأدب وأدنت قطوف العلم، وساعدت على انتشار القراءة.

٥ - الصحافة

الصحف مدارس متجولة في البلدان، ليست محصورة بين جدران، ولا يختص بها مكان دون مكان. وهي أوسع دائرة للإرشاد من كل دوائر التعليم: تهذب عقول العامة، وترتب أفكار الخاصة، وتنهض الهمم القاعدة، وتصلح الألسنة الفاسدة، وتقرب الأمم المتباعدة. وهي سجل الأخبار ووعاء التاريخ وتقويم الزمن. وأول جريدة عربية بالمعنى الفني المعروف هي الوقائع المصرية، أنشأها الأمير محمد علي سنة ١٨٢٨ بمعاونة الأستاذ رفاعة بك الطهطاوي، وكانت تصدر أولاً بالتركية والعربية، ثم حررت بالعربية وتولى تحريرها نخبة من أفاضل الكتاب كالشيخ حسن العطار، والشيخ شهاب صاحب سفينة الملك، والإمام محمد عبده، والشيخ عبد الكريم سلمان، وسعد زغلول. ولا تزال تصدر عن القاهرة ثلاث مرات في الأسبوع. ثم ظهر بعد ذلك في الشام جريدة مرآة الأحوال سنة ١٨٥٥ م وهي سياسية يحررها رزق الله حسون الحلبي؛ وحديقة الأخبار سنة ١٨٥٨ م لصاحبها خليل الخوري؛ والجوائب في الأستانة سنة ١٨٦٠ لأحمد فارس الشدياق؛ وجريدة الرائد التونسي في تونس سنة ١٨٦١ م.

وفي زمن إسماعيل أصدر محمد علي باشا البقلي (اليعسوب) وهي مجلة طبية شهرية بمعاونة الشيخ محمد الدسوقي وهي أول مجلة عربية ظهرت في العالم. وفي سنة ١٨٦٦ ظهرت بمصر جريدة سياسية أدبية علمية وهي وادي النيل لأبي السعود أفندي، كانت تصدر مرتين في الأسبوع بالقاهرة. وفي سنة ١٨٦٩ أصدر إبراهيم بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال جريدة (نزهة الأفكار) وكانت أسبوعية شديدة اللهجة فألغاهما الخديو إسماعيل. وفي سنة ١٨٧٠ م صدرت مجلة روضة المدارس المصرية وهي مجلة علمية أدبية يحررها نخبة من ذوي المكانة في العلم والأدب. ثم صدرت الأهرام سنة ١٨٧٦ م وسياستها عثمانية فرنسية، ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى مصرية، والوطن سنة ١٨٧٧ م وهي جريدة طائفية احتلالية. وعلى مناهجها سارت جريدة مصر؛ والمحروسة لصاحبها أديب إسحق سنة ١٨٨٠. وبعد الاحتلال ظهرت المقطم سنة ١٨٨٨ م وهي احتلالية. والمؤيد وهي إسلامية خديوية. واللواء وهي إسلامية وطنية. والجريدة والشعب والسياسة والبلاغ والجهاد وكوكب الشرق والمصري والكتلة والزمان والجريدة المسائية. وتلك هي كبرى الصحف

اليومية والسياسية وكلها تصدر عن القاهرة، وأكثرها أنقطع عن الظهور فلم يبق منها إلا الأهرام والأخبار والجمهورية والمساء وهناك صحف أسبوعية مختلفة كالرسالة والثقافة وأخبار اليوم والمصور وآخر ساعة والتحرير، وشهرية كالمقتطف والهلال والكتاب ومجلة الأزهر في مصر، والأديب والآداب في بيروت، ومجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ومجلة المجمع العلمي العربي في دمشق وأكثر المجالات الأدبية الأسبوعية والشهرية قد آحتجب لقلّة العون من الحكومة وضعف الرغبة من القراء.

والبحت في سياسة هذه الصحف وتحريرها وتأثيرها يخرج بنا إلى التطويل. ومما لا بد من ذكره أن الفضل في تقدم الصحافة ورفي التحرير والترجمة إنما كان للبنانيين، لسبقهم إلى معرفة اللغات الأوروبية، وخالطهم للأمم الغربية.

٦ - التمثيل

التمثيل بمعناه الحديث لم تعرفه اللغة العربية إلا في أواسط القرن الماضي. وكان اللبنانيون أسبق الشرقيين إلى اقتباسه؛ لتخرجهم في المدارس الأجنبية ودراساتهم للآداب الإفرنجية. وأول من فعل ذلك منهم مارون النقاش المتوفى سنة ١٨٥٥ فقط مثل أول رواية عربية سنة ١٨٤٠ م. ولما تبوأ إسماعيل عرش الخديوية شجع الأدباء، وعضد العلماء، وساعد الفنانين. وتم حفرة قناة السويس في عهده فاحتفل بافتتاحها ذلك الاحتفال المشهور، ورأى من كرم الضيافة ألا يحرم ضيوفه الأوروبيين مشاهدة التمثيل أثناء إقامتهم بمصر، فأبتنى دار الأوبرا الخديوية وأستقدم لها فرقة أجنبية مثلت رواية (عايدة) بالفرنسية. وورد مصر في أثر ذلك جماعة من أدباء لبنان وفيهم سليم النقاش وأديب إسحق، فمثلوا في الاسكندرية بضع روايات على مسرح زيزنيا سنة ١٨٧١ م ففشلوا، وتخلوا عن الفرقة لأحدهم يوسف خياط، فقدم القاهرة وأتصل بإسماعيل ففتح له الأوبرا وشهد أولى رواياته، وكانت رواية (الظلم)، فظن أنهم يعرضون به فنفاهم إلى وطنهم. وأقفلت الأوبرا في وجه التمثيل العربي فلم تفتح بعد ذلك إلا لفرقة سليمان القرداحي وزميله الشيخ سلامة حجازي.

لم يكن التمثيل في تلك الفترة الماضية شعيباً وإنما كان حكومياً أرستقراطياً لا يحضره إلا الأمراء والحكام، فلما بنى اسكندر فرح مسرحه في شارع عبد العزيز بالقاهرة وضم إليه الشيخ سلامة حجازي أصبح للجمهور. وكان التمثيل حينئذ بعيداً عن الكمال والذوق لا يرجع إلى فن ولا يعتمد على قاعدة، وإنما كان أساسه الغناء والمجون استمالة للعامّة وإرضاء للدهماء، ولغة الروايات كانت سقيمة ملحونة مسجوعة. وأول خطوة خطاها هذا الفن في سبيل الكمال كانت بفضل الفرقة التي ألفها جورج أبيض بعون الخديو عباس حلمي، وضم إليها صفوة الممثلين الذين خرجهم الزمن وأرشدتهم التجارب. إلا أن هذه الفرقة انحلت بعد قليل لسوء الإدارة وقلّة المال وزهادة الجمهور في التمثيل الفني. وظل

التمثيل بعد ذلك يرسب ويطفو تبعاً للحوادث والظروف. على أن حالته الآن وإن لم ترض الباحث من كل وجه لا تدعو إلى اليأس، فقد أنشأت وزارة الثقافة والإرشاد معهداً للتمثيل وألفت فرقة حكومية وفرقاً أخرى مختلفة تنفق عليها نرجو أن يكون لها أثر قوي في إنهاض المسرح بعد أن اعتدت عليه السينما وخذله الجمهور.

٧ - المجامع الأدبية

أ - المجمع العلمي العربي بدمشق:

كان إخواننا في الجمهورية العربية السورية أسبق الأمم العربية إلى إنشاء المجامع العلمية على ضيق مواردهم وغل سواعدهم، كما كان اللبنانيون أسبقها إلى الترجمة والصحافة والتمثيل فقد أنشئ المجمع العلمي العربي بدمشق في اليوم الثامن من شهر يونيو سنة ١٩١٦ م بعد دخول الأمة السورية في وصاية الدولة الفرنسية إجابة لمقترح الأستاذ محمد كرد علي وزير المعارف السورية يومئذ لأغراض كانت إذ ذاك «تدور حول مسائل تعود بأسرها على إنعاش الآداب العربية، وتلقي أصول البحث والدرس لنهاء الدراسات. وقد عني هذا المجمع بوضع ما عرض عليه وضعه من الألفاظ في المصطلحات العلمية الحديثة، وأصلح بعض الأوضاع الإدارية، وقوم ما أمكن لغة الدواوين، وصحح بعض أغلاط الكتاب والشعراء والخطباء، وعاون عدة من المؤلفين والمترجمين على ما هم بسبيله» ضم هذا المجمع صفوة العلماء والأدباء في الشام والعراق ومصر وطائفة من علماء المشرقيات في أوروبا. وأصدر مجلة لنشر دراساته ومحاضراته ومقالاته. وبعد أن اتحدت مصر وسورية في الجمهورية العربية المتحدة حيناً من الدهر أصبح مجمع دمشق ومجمع القاهرة مجعماً واحداً ومؤتمر سنوي واحد.

ب - مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

وفي ١٤ من شعبان سنة ١٣١٥ هـ - ٣ ديسمبر ١٩٣٢ م صدر مرسوم ملكي بإنشاء مجمع ملكي للغة العربية يكون تابعاً لوزارة التربية والتعليم في القاهرة والغرض منه:

١ - «أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة، أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتركيب.

٢ - أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها.

٣ - أن ينظم دراسة علمية اللهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

٤ - أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة مما يعهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية» وهو مؤلف من «أربعين عضواً عاملاً يختارون من غير تقد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتحرهم في اللغة العربية أو بأبحاثهم في فقه هذه اللغة أو لهجاتها» وخمسة وعشرين عضواً مراسلاً في مختلف البلدان الغربية . ومن بين أعضائه العاملين اليوم ثلاثون عضو مصرياً، وعضوان أوربيان فرنسي وإنجليزي، وعضو عن المغرب، وعضو عن تونس، وعضو عن المملكة العربية السعودية، وعضو عن العراق، يرأسهم الأستاذ أحمد لطفي السيد . والمجمع يتألف من هئتين . مؤتمر المجمع ويتكون من أعضائه جميعاً ويجتمع أربعة أسابيع متوالية في كل سنة . ومجلس المجمع ويتكون من الأعضاء المصريين ويجتمع مرة في كل أسبوع وللمجمع مجلة تنشر ما يقره من البحوث اللغوية والمصطلحات العلمية صدر منها ستة عشر جزءاً، والمجمع يبذل جهوده اليوم في وضع المعجم اللغوي الكبير، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحات العلوم الحديثة . بعد أن وضع المعجم الوسيط نحو ألف صفحة ونشره على الناس فقابلوه بالثناء وحسن التقدير .

ج - المجمع العلمي العراقي :

تألف في بغداد على غرار المجمع العربي بدمشق . ونشاطه مقصور على البحوث والمحاضرات ، ونشر المخطوطات .

الفصل الثالث

النشر

الكتابة

كان الناقد في صدر هذا العصر من كتب السلف كتابان يمثلان مذهبين مختلفين في الكتابة: أحدهما مقامات الحريري، والآخر مقدمة ابن خلدون. فالأول يمثل الأسلوب الصناعي الأجوف الممّوه، والثاني يمثل الأسلوب الطبيعي العامر المحكم. وكانت القلوب لا تزال مأخوذة بسحر المقامات لدقة صناعتها، وذبوع طريقتها، وقصور العقول عن البحث، وعجز القرائح عن التوليد ولكن النابغين من خريجي المدارس المدنية الحديثة الذين وقفوا على آداب الفرنجة آثروا الطريقة الخلدونية على الطريقة الفاضلية، لجريانها مع الطبع، وملاءمتها لروح العصر، ومشابتها لأساليب الفرنجة، فظهرت مهذبة فيما كتب قاسم أمين، وفتحي زغلول، ولطفي السيد، ومن جرى مجراهم. وأنفرد بالأسلوب البديعي رجال دار العلوم ومن يمت بسبب إلى الأزهر من أمثال الشيوخ حمزة فتح الله، وتوفيق البكري، وحفني ناصف، ومن حذا حذوهم وبدت على أساليب هؤلاء مظاهر التكلف فأسرفوا في المحاكاة، وأغلوا في الصنعة وتشددوا في القياس، وتصعبوا في استعمال اللغة، كما بدت على أساليب أولئك مظاهر التطرف فتجوزوا في القواعد وتسامحوا في اللغة، واستخفوا بجمال الصياغة، وهبطوا إلى مستوى العامية. وفي ذلك العهد نشأت على أقلام عرب لبنان النازحين إلى الأمريكيتين طريقة ثالثة فيها الفكرة والطرافة والحركة والتنوع، ولكن فيها الركافة والتساهل والدخيل والعجمة؛ فكان من رد الفعل الذي لا بد منه لهؤلاء الطرائق الثلاث أن تنشأ طريقة رابعة تأخذ من محاسنها وتخلو من مساوئها فترتضيها الأذواق جميعاً تلك كانت طريقة إحياء الأسلوب العربي الخالص مكمل النقص بما فاته من صور البيان لانقطاع أهله عن مسابرة التمدن الفكري الحديث. استبانت معالم هذه الطريقة في نثر المنفلوطي، كما استبان في شعر البارودي، ثم نهجها الكتاب الموهوبون والشعراء المطبوعون فتميزت بالرفقة والدقة والسلامة والرصانة والقصد. ثم نبغت طائفة من الكتاب

جمعوا بين ثقافة الشرق القديم وثقافة الغرب الجديد فبلغوا بالشر الفني منزلة لم يبلغها في عصر من عصوره. فالأسلوب الذي كتب به المنفلوطي والبشري والرافعي والمازني، ويكتب به العقاد وطه حسين هو ثمرة التطور الحديث في الأدب والعلم والفن والحضارة. وهو وإن اختلف بين الكتاب في القوة والضعف، والعمق والضحل، والدقة والتجوز، والتركز والانتشار، يشترك في الصفات الجوهرية للغة وهي الصحة والنقاء والمرونة، وفي الخصائص الأصلية للبلاغة وفي الأصالة والوجازة والتلاؤم.

ولقد تعددت الأساليب في هذا العصر، فكان لكل طبقة أسلوب، كالأدباء والفقهاء والمحامين والصحفيين. وتنوعت الأغراض، فكتبوا في القانون والسياسة والاجتماع، ونسجوا على منوال ما ترجموه من القصص والروايات الأوروبية.

وعلى الجملة فالمذهب الكتابي المعاصر يجمع كما قلت صفات اللغة الجوهرية وخصائص البلاغة الأصلية، إلى تأثره بالمذاهب الأوروبية والعوامل الاجتماعية والمناحي الثقافية والمعاني الحضرية. والكتاب الذين يتزعمونه اليوم أو يتبعونه نفر من الأدباء الكهول وطائفة من الأدباء الشباب، توفر حظهم جميعاً من علوم اللسان ومفردات اللغة واستنزفوا الشباب في تحصيل الأدب ومعاناته، حتى وقفوا على أطواره وكشفوا عن مخبأته. ويمتاز زعماء هذا المذهب بقسط عظيم من الثقافة الحديثة والاطلاع الواسع والبراعة العجيبة في التوفيق بين القديم المنبعث والحديث المتولد، والتأليف بين الشرق المتخلف والغرب المتطرف، حتى ليقراءهم القارئ البصير بمذاهب الكلام فلا يرجع أساليبهم إلى مذهب من مذاهب العرب ولا إلى مذهب من مذاهب الفرنجة؛ إنما هي أساليب مستقلة تتسم بال شخصية وتمتاز بالأصالة وتنفرد بمكان ظاهر بين أسلوب السلفيين الذي جمد، وأسلوب المتطرفين الذي ماع.

ولا بأس أن نشير هنا إلى أن هناك من ضَعَفَ الكتابَ قعد بهم وَهْنُ السليقة وقلة الاطلاع عن مجارة البلغاء، فأخذوا يدعون إلى العامة باسم المذهب الجديد. ليس لهؤلاء «المتكاتبين» رأيٌ مُوقِّعٌ نجله، ولا مذهب مؤيد مناقشه، وإنما هم يفكرون ويكتبون بأسلوب أعجمي في لفظ عربي يتعثر بين اللحن والركاكة. فحسبنا أن نسجل هذه الظاهرة دون تعليق عليها ولا بيان لها.

الفن القصصي والروائي

سبق القول في حظ العرب من هذا الفن، وقلنا إن قصورهم فيه كقصورهم في الشعر القصصي لأسباب واحدة ودواع متفقة. فلما أثمرت بواكير النهضة الحديثة اقتبس أدباؤنا فيما اقتبسوا من أدب الغرب القصة الأفرنجية بقواعدها ومناهجها وموضوعاتها. وكان أول من فعل ذلك اللبنايون لسبقهم إلى مخالطة الأوربيين والأخذ عنهم، كفرنسيس مراث الحلي

المتوفى سنة ١٨٧٢، وسليم البستاني المتوفى سنة ١٨٨٤ م وجرجي زيدان المتوفى سنة ١٩١٤. ثم عالجهما الكتاب المصريون بعد ذلك علاج المحاكاة لما قرأوا من تلك القصص. وكان أول ما ظهر طائفة من القصص والأقاصيص المترجمة، بعضها كان أشبه بالاقتباس لبعده عن أصله بالحذف أو بالزيادة أو بالتغيير كغصن البان لنجيب الحداد، والفضيلة لمصطفى المنفلوطي. والبؤساء لحافظ إبراهيم، وبعضها دقيق الترجمة شديد المطابقة كمرغريت للدكتور أحمد زكي، وابن الطبيعة لإبراهيم عبد القادر المازني، وآم فرتز ورفائيل وأقاصيص من الأدب الفرنسي لصاحب هذا الكتاب. وقد كانت هذه القصص المنقولة على علاتها أساساً للنهضة القصصية الحديثة في الشرق العربي احتذاها الشباب واستوحاها الكتاب، لأن المدرسة العربية في مصر وفي غير مصر ظلت على أساليب البلاغة لقديمة فلم يدخل في برامجها الأدبية تعليم الفن القصصي والروائي على الطريقة المرسومة في المدرسة الأوروبية. فلما ارتقى الفن الكتابي في الأسلوب الذي علمته في الفصل لسابق، وأخذت القصة العربية تتميز بطابعها وتستقل بموضوعها ظهرت طائفة من القصص لفنية القوة كزينب لمحمد حسين هيكل، والأيام لطف حسين. وإبراهيم الكاتب للمازني، وسارة للعقاد، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم، وبداية ونهاية لنجيب محفوظ.

وأما المقامات فقد انقضى أمرها وذهب عصرها بذهاب الصناعة اللفظية من الأدب الحديث. وكان آخر من قلد الحريري فيها الشيخ ناصيف اليازجي، ونقولا الترك من الكتاب اللبنانيين. أما المصريون فقد اقتبسوا الطريقة، ولكنهم وسعوا الحادث ونوعوا الموضوع، كما فعل محمد المويلحي في حديث عيسى بن هشام، وحافظ إبراهيم في ليالي سطح، فقد احتفظ بالمنهج والأسلوب، وأسهب في الموضوع بالاستتباع والاستطراد حتى أصبح عملهما وسطاً بين المقامة والقصة.

تلك حال الفن القصصي. وأما الفن الروائي أو المسرحي، فظل غريباً عن الأدب العربي لا يألفه ولا يعرفه حتى علمه من الأدب الغربي عن طريق المشاهدة والنقل. فهبت طائفة من الذين درسوا الآداب الغربية أو زاروا البلاد الأجنبية يزاولونه بالمحاكاة والاحتذاء دون أن يتجهزوا له بجهازه، ويستعينوا عليه بأداته، فالتوى عليهم وأعضل حتى كاد يسمهم بالعجز عنه. اللهم إلا ما كان من أمر شوقي فقد حاول أن يسد النقص الموروث في الشعر العربي فأستحدث الشعر التمثيلي وخطابه في طريق الكمال خطوة موفقة بنظمه روايات: علي بك الكبير، وكيلوبترا، ومجنون ليلي، وقمبيز، وعنترة، والست هدى. ثم توفاه الله قبل أن يبلغ به الغاية وعلى نهجه المعبد سار الشاعر عزيز أباظة في رواياته قيس ولبنى والعباسة، والناصر وشجرة الدر وقد أخذت الجمهورية العربية المتحدة تهيء للفن القصصي والروائي أسباب الوجود بمكافأة الكتاب ومساعدة الممثلين فعسى أن يسفر أملها عن وجه النجاح فتتم بداءة الخديو إسماعيل، في إيجاد هذا الفن الأدبي الجميل.

الفصل الرابع

أساطين النهضة الحديثة

في مصر والشام والعراق والمغرب

ممن نبغ من المصريين في هذا العصر وقوى هذه النهضة برّوجه ورُوحه، الشيخ عبد الرحمن الجبرتي صاحب التاريخ المعروف باسمه، درس في الأزهر دراسة كاملة، ثم اتصل بالفرنسيين أيام احتلالهم مصر فاستكتبه في الديوان ثم أنقطع للتأليف فصنف كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ثم توفي سنة ١٨٢٥ م ثم الشيخ محمد المهدي شيخ الجامع الأزهر وأحد أعضاء الديوان الخصوصي لنابوليون، وُلد قبطياً ثم أسلم ودرس في الأزهر حتى رأسه. ألف كتاب تحفة المستيقظ الأنس، في نزهة المستنيم الناعس، وهو أشبه بألف ليلة وليلة، وكانت وفاته سنة ١٨١٥ م. ثم الشيخ حسن العطار وهو ناظم نادر، ولد بالقاهرة ثم تعلم بالأزهر واتصل بالفرنسيين ورحل إلى الشام فأحد ذلك من فهمه وزاد في علمه. ثم تولى التدريس في الأزهر ورقي إلى أن صار شيخاً له، وتوفي سنة ١٨٣٣ م. ثم السيد علي الدرويش شاعر الأمير عباس الأول، نشأ في القاهرة وعاش موفور الكرامة بشعره. وقد جمع شعره أحد تلاميذه في ديوان سماه: الإشعار بحميد الأشعار. وكانت سنة ١٨٥٣ م. ثم الشيخ شهاب الدين صاحب سفينة الملك، ولد بمكة ثم وفد إلى مصر ليتعلم في الأزهر فنبح في الأدب وألمّ بالحساب والهندسة والموسيقى، ثم اشتغل بالتحريير في الوقائع والتصحيح في مطبعة بولاق حتى توفي سنة ١٨٥٧ م. ثم رفاعة بك الطهطاوي أحد أركان النهضة العلمية، ومدير المدرسة التجهيزية، ومنشئ الوقائع المصرية، ولد بطهطا وتعلم في الأزهر، وأرسله محمد علي فيمن أرسل إلى فرنسا فأتم دراسته ثم عاد فعكف على التحرير والترجمة والتأليف والتعليم حتى وافاه حماته سنة ١٨٧٣ م. ثم الشاعر محمود صفوت الساعاتي نشأ في القاهرة وتوفي بها سنة ١٨٨٠ م. ثم الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري الشاعر المطبوع واللغوي الحجة والمؤلف النابه، ولد في أبيار من أعمال الغربية ثم ثقف العلم بالأزهر واتصل بإسماعيل فجعله إمامه ومفتيه. ثم أتاه اليقين سنة ١٨٨٨ م. ثم

العلامة الشيخ حسين المرصفي شيخ المعلمين وعمدة المؤلفين وصاحب الوسيلة الأدبية في العلوم العربية. تخرج في الأزهر وعلم به ورزق ما يرزقه مكفوفو البصر من لطف الحس وذكاء الفؤاد. توفي سنة ١٨٨٩. ثم الأديب الشاعر عبد الله باشا فكري ناظر المعارف في عهد إسماعيل، ومؤلف الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية. توفي سنة ١٨٨٩ م. ثم المصلح الكبير علي مبارك باشا منظم المدارس المصرية، ومنشئ المكتبة الخديوية (دار الكتب)، ومؤلف الخطط التوفيقية، وقصة علم الدين. شارك في علوم كثيرة، وتقلب في مناصب خطيرة، منذ ولاية محمد علي إلى عهد توفيق. ثم توفي سنة ١٨٩٣ م. ثم الأديب القدير السيد عبد الله نديم خطيب الثورة العراقية، وله ترجمة خاصة ثم المترجم البارع محمد عثمان بك جلال ناقل أمثال لافونتين في كتابه العيون اليواقظ، ومترجم تروتوف ويول وفرجينى إلى العامية، ومؤلف السياحة الخديوية في الأقاليم المصرية، توفي سنة ١٨٩٨ م. ثم السيدة الفاضلة عائشة التيمورية، نبغت في الشعر العربي والتركي وخلفت في كل منهما ديواناً. ولها غيرها كتاب نتائج الأحوال في الأدب ولدت بمصر سنة ١٨٤٠ م، وتوفيت بها سنة ١٩٠٢. ثم الاجتماعي الألمعي والكاتب المفكر قاسم بك أمين محرر المرأة المصرية، وأحد رسل الإصلاح الاجتماعي، ومؤلف كتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة، وأثرهما في النهضة النسائية معروف. توفي سنة ١٩٠٨. ثم الخطيب المصّدع، والسياسي المعجرب، والوطني الصادق، والصحافي البارع، مصطفى باشا كامل، وله ترجمة خاصة ثم الفقيه المحقق، والمترجم البارع، فتحى باشا زغلول، شارح القانون المدني، ومؤلف كتاب المحاماة، ومترجم كتب جوستاف لوبون، ومحرر القوانين المصرية. توفي سنة ١٩١٤ م. ثم الكاتب الرشيق السيد مصطفى لطفى المنفلوطي، وله ترجمة خاصة. ثم العبقري الفذ والمحامي المدّرّه والأصولي البارع، والخطيب المصقع، والكاتب النابغ والسياسي المحنك، سعد باشا زغلول وله ترجمة خاصة. ثم اللغوي المؤرخ المحقق أحمد باشا تيمور صاحب الخزانة التيمورية، ومعجم اللغة العامية، والمؤلفات القيمة، والمقالات الممتعة في اللغة والتاريخ. توفي سنة ١٩٣٠ م. ثم الكاتب الناقد الرقيق محمد بك المويلحي صاحب حديث عيسى بن هشام، توفي سنة ١٩٣٠ م. وله ترجمة خاصة ثم أمير الشعراء وخليفة المتنبى أحمد بك شوقي وله ترجمة خاصة. ثم شاعر النيل، وأديب الشعب، محمد حافظ بك إبراهيم وله ترجمة خاصة. ثم الأديب المطلع والمتقف النابغ أحمد زكي باشا صاحب الخزانة الزكية، ومحي المؤلفات العربية، وناشر الثقافة الإسلامية، توفي سنة ١٩٢٤.

وممن نبغ من اللبنانيين والسوريين المعلم الشاعر بطرس كرامة الحمصي مادح الأمير بشير الشهابي ومعلم ولده وموضع ثقته. جمع شعره في ثلاثة دواوين لم يطبع إلا واحد منها. توفي سنة ١٨٥١. ثم الفيلسوف الشاعر فرنسيس مراش الحلبي أقدم دعاة الحديث؛ وأول رسل التجديد، ومؤلف طائفة من الكتب المفيدة. توفي ضريراً سنة ١٧٨٣ م. ثم الصحفي

المنشئ أديب إسحق، رئيس قلم الإنشاء في نظارة المعارف المصرية على عهد توفيق، ولد بدمشق ودرس فيها ثم رحل إلى مصر فلقي جمال الدين، وكان له أثر ظاهر في النهضة الأدبية الحديثة، توفي سنة ١٨٨٥ م. ثم المصلح الاجتماعي والكاتب السياسي الشيخ عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتابي (طبائع الاستبداد) (وأم القرى)، جاب أكثر الممالك الإسلامية، ثم ألقى عصاه بمصر سنة ١٩٠٢ م. ثم الكاتب الأديب جميل المدور صاحب حضارة الإسلام في دار السلام، ولد ببيروت وتوفي فيها سنة ١٩٠٧ م. ثم الأديب الكبير، والصحفي البار، والمترجم القدير، الشيخ نجيب الحداد، امتاز بكثرة ما نقل، ووضع من الروايات التمثيلية، ثم توفي في ريعان شبابه سنة ١٨٩٩ م ثم العلامة المؤرخ الحجة اللغوي الثبت الشيخ طاهر الجزائري عالم دمشق وأديبها توفي سنة ١٩٢٥ م. ثم المؤرخ النابه، والصحفي النابغ، والقصصي المبدع، جرجي بك زيدان، منشئ الهلال، ومؤلف طائفة من الكتب القيمة في التاريخ والأدب، واللغة والاجتماع، ورائد الفن القصصي التاريخي في الشرق. توفي سنة ١٩١٤ م. ثم الفيلسوف المحقق، والصحفي المجدد، الدكتور يعقوب صروف منشئ المقتطف وأحد رسل العلم الحديث، توفي سنة ١٩٢٧ م.

وممن نبغ في العراق آل الألويسي، وأشهرهم العلامة الفقيه شهاب الدين الألويسي صاحب التفسير الشهير المرسوم بروح المعاني في تسعة مجلدات. توفي ببغداد سنة ١٨٥٤ م. ثم حفيده السيد محمود شكري الألويسي أديب العراق ومؤلف كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب في ثلاثة مجلدات، توفي سنة ١٩٢٣ م. ثم الشاعر الرقيق عبد الغفار الأخرس المتوفى سنة ١٨٧٣ م. ثم الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي المتوفى سنة ١٩٣٧ م، وله ترجمة خاصة. ثم العلامة اللغوي الأب أنستاس ماري الكرمللي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة المتوفى سنة ١٩٤٧ م.

وممن نبغ في المغرب الكاتب السياسي المصلح محمد بيرم مؤلف الرحالة الموسومة بصفوة الاعتبار بمستودع الأمصار، في خمسة أجزاء. وفد إلى مصر فأنشأ بها جريدة «الأعلام» وأخذها مقامه حتى توفي سنة ١٨٨٩. ثم الوزير العالم خير الدين باشا صاحب كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، وهو من خير ما كتب في بابيه. سمت به كفايته إلى أن تقلد الوزارة في تونس، والصدارة العظمى في الآستانة، وتوفي سنة ١٨٩٠ م. ثم الفقيه السياسي المصلح السيد عبد الحميد بادريس الجزائري المتوفى سنة ١٩٤٠ م. ثم الشاعر الشاب الثائر الحر أبو القاسم الشابي التونسي سنة ١٩٢٤.

ثم بقيت طائفة من نابغي الكتاب والشعراء والأدباء والخطباء، آثرنا أن نخصهم بشيء من التفصيل والتحليل.

الكتاب

٨١ - جمال الدين الأفغاني

١٨٣٨ - ١٨٩٧ م

١٢٥٣ - ١٣١٤ هـ

حياته وأعماله:

ولد السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر بقرية أسد آباد من أعمال كابل ببلاد الأفغان في بيت كريم الأصل يجمع إلى جلالته النسب إلى الحسين سؤدد الإمارة على بعض لأقاليم الأفغانية. ثم درج في بيئة تعزز بطباع البداوة من حرية وحمية وأريحية وأنفة. ثم تحول أبوه إلى كابل وهو في الثامنة من عمره فتلقى فيها مبادئ العلوم العربية والأدبية والشريعة والعقلية وعلى منهاج محيط شامل. ثم حذق في مراحل حياته ومواطن رحلاته للغات العربية والأوردية والفارسية والتركية والفرنسية، وألم بالإنجليزية والروسية، فأتصل منها بثقافة الشرق والغرب في القديم والحديث. ثم أخذ يطوّف ما شاء الله أن يطوّف في قطار الهند وإيران والحجاز ومصر وتركيا وإنجلترا وروسيا فأزداد بصراً بأحوال الدول وأخلاق الشعوب. ثم كان رضي الله عنه متواضع النفس لأنه عظيم، جريء الصدر لأنه حر، ندي الراحة لأنه زاهد، ذرب اللسان لأنه قرشي، أبي الضيم لأنه أمير، حادّ الطبع لأنه مرهف، صريح القول لأنه رجل. ولم يبتغ من وراء هذه الصفات - كما قال - إلا سكينه القلب. وكان يحمد الله على أن آتاه من الشجاعة ما يعينه على أن يقول ما يعتقد ويفعل ما يقول. ومن امتزاج هذه السمائل وتلك الوسائل فيه اتسعت حوله الأرض، وأمتد أمامه الأفق، وأنصرف همه البعيد عن الدار والزوجة والعشيرة إلى الوطن الإسلامي كله، والشرف الإنساني كله، فجعل قصده ووكده أن يدعو إلى إنهاضهما بالوحدة الإسلامية لتدفع غائلة المستعمر، وبالحكومة الدستورية لتقمع شرّه المستبد.

وقد آمن من هذه الدعوة إيمانه بالله حتى رأى في سبيلها السجن رياضة والنفي سياحة والقتل شهادة!

وكان الذين يقفون من سيرة الأفغاني على الهامش يظنون أنه قصر جهده في تحقيق

٨١ - انظر ترجمته في: تاريخ الصحافة العربية: ٢٩٣/٢ - ٢٩٩، ودائرة المعارف الإسلامية: ٩٥/٧ - ١٤١، وزعماء الإصلاح: ٥٩ - ١٢٠، وحاضر العالم الإسلامي: ٢٨٩/٢ - ٣٠٣، وانظر الأعلام للزركلي: ١٦٨/٦ - ١٦٩.

هذه الدعوة على الكتابة والخطابة. والواقع الذي لا شك فيه أنه فكر ثم قَدَّر ثم دبر، ولكن الوحدة كانت من الشتات بحيث لا تلتئم، والاستبداد كان من الثبات بحيث لا ينهزم.

تولى الوزارة وهو في رَيْق شبابه لأمير الأفغان محمد أعظم، فجمع نفسه على الاستقلال، ودار أمره على الشورى، فأوجس الإنجليز خيفة من هذه النزعة، فأرسلوا ذهبهم إلى منافسه فأضرم الثورة وفرَّق الكلمة وطرد الأمير. وخرج السيد إلى الهند يبتغي السكينة عند تاجر صديق، فأستقبله الإنجليز على الحدود، وأنزلوه بالإكراه ضيفاً على الحكومة. فسألهم الإقامة شهرين، ولكنهم حين رأوا إقبال الناس عليه، وإصغاءهم الشديد إليه، قَصَّروا هذه المدة وأمروه بالخروج. وكادت الأعصاب الهندية المخدرة تثور حين قال لزعماء الهنود وهو راحل:

«وعزة الحق وسر العدل، ولو أن ملايينكم مُسخت ذباباً لأخرجت الإنجليز بطنينها من الهند. ولو أنقلبت سلاحف وخاضت البحر إلى الجزر البريطانية لجذبتها إلى القاع».

وفي الأستانة استقبله الصدر الأعظم استقبال التجله، وأحلّه أعيان الدولة محل الكرامة. ثم عين عضواً في مجلس المعارف، فرأى في التعليم رأياً وخطب في الصناعة خطبة؛ أحفظاً عليه أعوان الجهل من رجال العلم وإخوان الضلال من شيوخ الدين. وتولى قيادة الإرجاف شيخ الإسلام لحاجة في نفسه، فأعترى على الرجل الأباطيل، وبس حواله التمام، فلم يجد الأفغاني بدأً من النزوح إلى القاهرة.

وهنا وجد الصدر الأرحب في رياض باشا، فتجلت عبقريته في التعليم والتنبيه والتوجيه. وأوفد بالزيت المقدس شعلته الوهاجة في البيت وفي القهوة. فعشا على ضوئها الهادي طلاب المعرفة وعشاق الحكمة من علماء وأدباء وساسة وقادة. ثم اتخذ من المحفل الماسوني الذي أنشأه منارة لهذه الشعلة، فقسم الإخوان العاملين فيه شعباً لكل وزارة من وزارات الدولة شعبة. فشعبة الحرية تنظر في ظلامة الضباط المصريين، وتنذر (ناظر الجهادية) أن ينصفهم من الضباط الجراكسة. وشعب الحقانية والمالية والأشغال تنذر وزراءها أن يساوا المصريين بغيرهم في العمل والمرتب، وراع أولي الأمر ما قرأوا في تقارير الشعب، وما سمعوا من لغط الموظفين، وما رأوا من قلق المثقفين، فاستدعاه الخديوي توفيق وفاوضه في ذلك فقال له فيما قال: «إن سبيل الإصلاح أن يشترك الشعب في حكم البلاد عن طريق الشورى». ثم ازداد جمال الدين إمعاناً في حملته، وانقلب الأدب كله أصداءً لأحاديثه وأبواقاً لدعوته، حتى انتهى الأمر - بعد جهاد ثماني سنوات إلى أن ضاق الإنجليز بسعة نفوذه، فزينوا للخديو أن يخرج من مصر فأخرجه.

وانتقلت الشعلة إلى باريس، وسطعت في (العروة الوثقى)، وظلت ألسنتها ثمانية عشر شهراً تومض في جنبات الشرق كما تومض المنارة في ظلمات المحيط، حتى دلت

على أوكار الطغيان ونمت بأسرار القرصنة، فأستقدمه شاه العجم واستوزره، فلما أشار عليه بالشورى أشاح بوجهه عنه. واستزاره قيصر الروس واستخبره، فلما نبأه بحديث الشورى نفر منه. واستدعاه خاقان الترك واستشاره، فلما نصح له بالشورى وتقسيم الإمبراطورية إلى عشر خديويات يتولاها أمراء عثمانيون زوى عبد الحميد ما بين عينيه؛ ولكنه ألطف الجواب للحكيم الشجاع، وظل على إكرامه واحترامه أربع سنين حاول فيها أن يكبله بقيود المنصب والزواج فلم يستطع، ولكن الموت استطاع أن يكبل الثائر الحر ليبلغ الاستبداد أجله المقذور فمرض بالسرطان في الأستانة وتوفى به في اليوم التاسع من شهر مارس سنة ١٨٩٧ م.

نموذج من نثره:

كتب إلى عبد الله باشا فكري يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمه أمام الخديو على مسمع منه، فسكت ولم يدافع عنه:

مولاي! إن نسبتك إلى هواده في الحق وأنت - تقدست جبلتك - فطرت عليه وتخوض الغمرات إليه، فقد بعث يقيني بالشك وإن توهمت فيك حيداناً على الرشد، وجوراً عن القصد وأنا موقن أنك ما زلت على السداد غير مفرط ولا مفرط فقد استبدلت علمي بالجهل. ولوقلت: إنك من الذين تأخذهم لا في الحق لومة لائم، وتصدهم عن الصدق خشية ظالم، وأنت تصدع به غير وان ولا ضجر، ولو ألب الباطل الكوارث المردية، وأجرى عليك الخطوب الموبقة لكذبت نفسي وكذبتني من يسمع مقالتي، لأن العالم والجاهل والفظن والغبي كلهم قد أجمعوا على طهارة سجيتك، ونقاوة سيرتك واتفقوا على أن الفضائل حيث أنت، والحق معك أينما كنت، لا تفارق المكارم ولو اضطرت وأنت مجبول على الخير لا يحوم حولك شر أبداً؛ ولا تصدر عنك نقيصة قصداً، ولا تهن في قضاء حق، ولا تني عن شهادة صدق - ومع ذا وهذا وذاك إنك مع علمك بواقع أمري، وعرفانك بسريرتي وسري، أراك ما ذدت عن حق كان واجباً عليك حمايته، ولا صنت عهداً كانت عليك رعايته، وكنمت الشهادة وأنت تعلم أنني ما أضمرت للخديو ولا للمصريين شراً، ولا أسررت لأحد في خفيات ضميري ضراً. وتركتني وأنياب النذل اللئيم (فلان) حتى نهشني نهش السبع الهرم العظام، ضغينه منه على السيد إبراهيم اللقاني وإغراء من أعدائي أحزاب (فلان)! ما هكذا الظن بك، ولا المعروف من رشدك وسدادك؛ ولا يطاوعني لساني - وإن كان قلبي مدعناً بعظم منزلتك في الفضائل مِقْراً بشرف مقامك في الكمالات - أن أقول: عفا الله عما سلف، إلا أن تصدع بالحق، وتقيم الصدق، وتظهر الشهادة إزاحة للشبهة، وإدحاضاً للباطل، وإخزاء للشراً وأهله. وأظنك قد فعلت أداء لفريضة الحق والعدل. ثم إني يا مولاي أذهب الآن إلى لندن ومنها إلى باريس مسلماً عليكم، وداعياً لكم - والسلام عليكم وعلى أخي الفاضل البار أمين بك.

٨٢ - الأستاذ الإمام محمد عبده

١٨٤٩ - ١٩٠٥ م

١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ

نشأته وحياته :

وُلد محمد عبده بن عبده بن حسن خير الله بمحلة نصر من إقليم البحيرة بمصر ونشأ نشأة الأوساط من القرويين، فأستظهر القرآن في كتاب القرية، وأرسل في طلب العلم إلى الجامع الأحمدي فالأزهر الشريف، ولكنه مُني في أول دراسته بمعلمين غير أكفاء لقنوه المسائل من غير تفهيم فستمها وفرّ. فلما ذاق حلاوة العلم صبر على مرارة التعليم، واستغرق وسعه في الدرس حتى نال في قليل من الزمن كثيراً من العلم. ولم يكن منهاج التعليم الأزهرى في ذلك العهد كفيلاً بتخريج الطالب كما كان الإمام صحيح الحكم، وثيق الحجة، ساهر البيان، غزير العلم، كريم الخلق، ثابت البصيرة؛ ولكن السيد جمال الدين الافغاني حكيم الشرق وفيلسوف الإسلام هو الذي جمّله بهذه الصفات وكمله بتلك العلوم. ورد ذلك الحكيم مصر في عهد إسماعيل فورد شُرعت أذكياء الطلاب، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهداتها. وكان الإمام أثرهم عنده وأوفرهم حظاً منه، حتى قال فيه وهو مفارق مصر: إني خلفت في مصر خيراً كثيراً في علم الشيخ محمد عبده.

فلما رحل عن مصر جمال الدين استأنف الأستاذ النظر في العلوم وأستقى الدين من مشاريعه الصافية حتى أصبح إماماً في العلوم العقلية والنقلية واللسانية، فنال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ. ثم اختير مدرساً للأدب والتاريخ بدار العلوم ومدرسة الألسن، وأسندت إليه بعد ذلك رياسة تحرير الوقائع الرسمية وإصلاح اللغة العربية.

ثم أخذت مبادئ الأفغاني تزكو في القلوب وتهفو بالنفوس، حتى أفضت إلى الثورة العراقية، وكان الاستاذ ممن شايح وبائع وأفتى بخلع الخديو توفيق فحكم عليه بالنفي. فقصد سورية ولبث فيها ست سنين شرح في أثنائها كتابي نهج البلاغة ومقامات البديع. ثم غادرها إلى باريس حيث كان جمال الدين، فأنشأ معاً جريدة (العروة الوثقى) ونشرا بها دعوة الدين والعلم والأدب والإصلاح؛ فأهتزت لها القلوب الطيبة في العالم الإسلامي، ولكنها لم تدم طويلاً. وأستهوى الأستاذ ما رأى وسمع من حضارة الغرب وعلومه فطمعت نفسه إلى الأخذ منها بنصيب، فأبتغى الوسيلة إلى ذلك بتعلم اللسان الفرنسي فتعلمه في بضعة أشهر.

٨٢ - انظر ترجمته في: زعماء الإصلاح: ص ٢٨٠، ومذكرات عناني: ص ١٨٧، والفكر السامي: ٣٦/٤، ومشاهير الكرد: ١٥٧/٢، ومجلة الحج: ٣٢٢/٧، ومعجم المطبوعات: ١٦٧٧، والأعلام للزركلي: ٢٥٢/٦ - ٢٥٣.

ثم شمله العفو الخديوي فعاد إلى وطنه نير القلب غزير العلم محنك السن، وعين مستشاراً في محكمة الاستئناف، وعني بتدريس البيان وتفسير القرآن بالأزهر. فكان درسه مجمعاً لرجال القانون والأدب والصحافة والتعليم. وتولى منصب الإفتاء فظل فيه حتى توفاه الله بالسرطان في الإسكندرية ودفن بالقاهرة.

صفاته وأخلاقه:

كان الأستاذ ربيع القامة، أسمر اللون، قوي البنية، حاد البصر، بليغ العبارة، فصيح اللسان، ذكي القلب، شديد العارضة، قوي الحافظة. وكان أشبه بابن خلدون في كبر نفسه، وصفاء عقله، وبعد نظره، وقوة جأشه وكرم خلقه، وصراحة قوله، حتى في خصوصية زِيَّة. وقد كابد مثله في رضا الحق ومحاربة البدع سخط الخاصة وغضب العامة، شأن زعماء الإصلاح في كل أمة.

أثره في اللغة والأدب:

كانت اللغة في عهده فريسة العجمة رهينة البلى فجاهد في إنقاذها وإحيائها حق جهاد: كان وهو يحرر الجريدة الرسمية يراقب ما ينشر في الصحف ويكتب في الدواوين، ويدمج الفصول في نقص الأساليب وخطأ التراكيب، وينشر نماذج من تلك الكتابات السقيمة العقيمة ويدل على عيوبها، ويكتب غيرها في موضعها تعليماً للكتاب وتدريباً للناشئة. ثم سلك في التدريس غير سبيل الأزهريين، فقرأ كتابي عبد القاهر في البلاغة بأسلوب يملك الأسماع والقلوب، وفسر كتاب الله بلسان رسوله. فكان في درسه خطيباً جزل المنطق قوي المعارضة لا تدركه حُبسة ولا يرهقه حصر. فأفاد الطلاب ببيانه مثل ما أفادهم بتبيينه. وهو الذي ساعد على إحياء الكتب العربية، وسن في الأزهر تدريس الأدب واعتضد في الأول بالإمام محمد محمود الشنقيطي، وأعتمد في الثاني على أستاذنا سيد بن علي المرصفي.

أثره في العلم والدين:

غام أفق الدين بسحب البدع والأضاليل، فطلع الأستاذ من فكره وعلمه نيراً بدد غيوم لباطل، وجدد رسوم الحق. ورأى العلم قد أخذ ينغصُ إلى الدين رأسه، فوقف بينهما سوقف المؤلف الموفق، كما فعل ابن سينا وابن رشد من قبل، وأخذ يفسر القرآن بلسان العلم والعقل، وكتب رسالته في التوحيد بقلم عبد القاهر فقرب العقائد من الأفهام، وحسر عنها ظلال الإبهام. وسمع السنة المبشرين والمستعمرين تمتد إلى جوهر الإسلام بالإفك، فقطعها بالأدلة النواهض والحجج الملزمة. وكتاب (الإسلام والنصرانية) ورد على هانوتو الفرنسي من تلك الأسلحة التي أجهزت على تلك الشبهة المدفوعة.

وجملة القول أن الإمام محمداً كان من أولئك الأعلام المجتهدين والعلماء المحققين

الذين يصطفيهم الله من خلقه لنصرة حقه، فيجددون جبل الدين، ويشيدون أركان العلم، ويدفعون عن الأرض الفساد.

أسلوبه :

للأستاذ في الترسل أسلوب خاص كأنه قطع الرياض، تقرأه في الردود والمقالات : وقد ينحو في رسائله نحو ابن العميد فيتكلف السجع ويكلف بالصنعة؛ ويقصد قصد الجاحظ في تأليفه، فتساوق أغراضه، وتتراصف فقره. فهو متصرف في أنواع الكلام يلبس كل معنى ما يلائمه من الأساليب. أما الشعر فما علمناه يقرضه. ولكن الناس رويوا له أبياتاً قالها في سياق الموت وهي :

ولست أبالي أن يقال محمدٌ أبلّ أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم
فيا رب إن قدرت رُجعى قريبة إلى عالم الأرواح وأنقض خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قائم

نموذج من ثره :

كتب إلى بعض علماء الشام جواباً عن كتاب هنأه فيه بمنصب الإفتاء، وقد شكاً فيه الإمام ما كابده من عنت الشيوخ في سبيل الإصلاح :

أنصفتني قومك إذ سُروا بنيلي الإفتاء، ولعل ذلك لشعورهم بأنني أغير الناس على دين الله، وأضرهم بالدفاع عن حماه، وأدراهم بوجوه الفرص عند سnochها، وأحذقهم في انتهازها لإبلاغ الحق أمه، أو يبلع الكتاب أجله، على أنهم مني بحيث لا يفسد نفوسهم الحسد، ولا يتقاذف بأهوائهم اللدد. وكل ذي دين يشتهي أن يرى لدينه مثل ما أحت إليه عزيمتي، وأخلص له في العمل لتحقيقه نيتي، خصوصاً إن كفى فيه القتال، ولم يكلف بشد رحال ولا بذل أموال.

أما قومي فأبعدهم عني أشدهم قريباً مني. وما أبعد الإنصاف منهم؟ يظنون بي الظنون، بل يتربصون بي ريب المنون، تسرعاً منهم في الأحكام، وذهاباً مع الأوهام، وولعاً بكثرة الكلام، وتلذذاً ببلوك الملام. أقول فلا يسمعون، وأدعو فلا يستجيبون، وأعمل فلا يهتدون، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون، بل يفرون إلى حيث يهلكون شأنهم الصياح والعويل، والصخب والتهويل، حتى إذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرف في شيء وإن هانا
وأقول ولا في الخير.

وإنما مثلي فيهم أخ جهله إخوته، أو أب عقته ذريته، أو ابن لم يحن عليه أبواه

وعمومته، مع حاجة الجميع إليه، وقيام عمدهم عليه. يهدمون منافعهم بإيذائه، ولو شاؤوا لاستبقوا باستبقائه، وهو يسعى ويدأب، ليطعم من يلهو ويلعب. على أني أحمد الله على الصبر، وسعة الصدر، إذا ضاق الأمر، وقوة العزم، وثبات الحلم. وإن كنت في خوف من حلول الأجل، قبل بلوغ الأمل، خصوصاً عندما أرى العمل في أرض ميتة وذابت عليها السماء مطراً، لما أنبتت زرعاً ولا أطلعت شجراً. أفزع لذكرى ذلك ويجزع، ويكاد قلبي يتقطع. ثم أرجع إلى الله فأعلم أنه مع الصابرين، وأنه لا يضيع أجر العاملين، فيتلج صدري وأمضي في جهادي الدائم. ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً...

وليتني كنت أشكو إلى الله جهل العالمين وحمق المعلمين، في مثل هذه الجاهلية التي بعث النبي ﷺ لمحو أحكامها، وإزالة أيامها. تلك جاهلية كان الضلال فيها بعيداً، ولكن كان فهم القوم حديداً لذلك عندما لاح لهم ضوء الهدى أبصره، وعندما قرع أسماعهم صوت الداعي أجابوه. كان القرآن يصدع أفئدتهم فيلين من شدتهم ويفل من شرتهم، ويفجر من صخر القسوة ينابيع الحنان والرحمة. وما كان أهل العناد فيهم إلا قليلاً عرفوا الحق فأنكروه، وطائفة كانوا يفرون منه خوف أن يعرفوه. ولو سمعوا لفهموا، ثم لم يجدوا بداً من ينصروه وإن الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم، كلاهما قليل في بني آدم. أما اليوم فإنما أشكو من قلة الفهم، وضعف العقل، واختلال نظام الإدراك، وفساد الشعور عند الخاصة، فلا تجذبهم فصاحة ولا تبلغ منهم بلاغة وغاية ما يطلبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وأن يوصفوا بالعلم وإن لم يعقلوا، وأن تُقضى حاجاتهم إذا سألوا، وأن ترفع مكانتهم وإن نزلوا. وإن استعداد السامع للفهم يستدرك المقال، ويسد الفكر للنضال في اجدال، أما عيشك فيمن لا يفهم فإنه ينضب منك ينبوع الكلام، ويطمس عين الفكر، ويزهق روح العقل.

٨٣ - الشيخ علي يوسف

١٨٦٣ - ١٩١٣ م

١٢٨٠ - ١٣٣١ هـ

نشأته وحياته:

ولد هذا السياسي النابه والصحفي النابغ في بلدة بلصفورة من أعمال مديرية جرجا

٨٣ - انظر ترجمته في: مرآة العصر: ص ٥٣٧، ومجلة الكتاب: ٢٣٢/٦ - ٢٤٩، وهديّة ٧٧٧/١، وانظر الأعلام للزركلي: ٢٦٢/٤.

من أنسرة زكية المغرس رقيقة الحال، ولم يكد يحول على مولده الحول حتى فجعه الموت في أبيه، فارتحلت به أمه إلى أخواله في بني عدي من أعمال منفلوط حيث درج وشب وحفظ القرآن وشدا شيئاً من مبادئ العلوم. وفي عام ١٢٩٩ هـ بعثوا به إلى الأزهر، فطلب العلم على طائفة من صفوة الأسيخ بضع سنين ألم فيها بالفقه والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والتوحيد ومبادئ الفلسفة، إلا إنه أحسن في نفسه السمو والطموح، ورأى في الأزهر الجمود والخمود، فصدف عن حياة الأزهريين ووصل أسبابه ببعض أبناء السراة يساهرهم ويقول الشعر فيهم، حتى هبط مصر المرحوم أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب وأنشأ جريدة (القاهرة الحرة) فاتصل به الشيخ علي وأعانه على تحريرها فكسبه ذلك ملكة الذوق الكتابي، وأسرار الفن الصحافي، فأخرج صحيفة سماها (الآداب) ظلت تصدر حتى سنة ١٣٠٧ هـ. ويومئذ أراد الله لهذه النفس الغلابة والهمة الوثابة أن تحطم القيود وتتجاوز الحدود وتتعجل القدر، فصحت عزيمة الشيخ علي أن يصدر هو والشيخ أحمد ماضي أحد رفقاءه في الأزهر جريدة يومية سياسية دعاها «المؤيد».

ظهر العدد الأول من هذه الصحيفة في ربيع الآخر سنة ١٣٠٧ هـ أو في أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ولا عدة لها من مال، ولا ناصر لها من حكومة، ولا عون لها من حزب، ولا مشجع لها من جمهور فلقي الرجل في سبيلها برحاً شديداً وجهداً باهراً حتى أسعفه الله حينئذ بصحة المحامي المدره سعد افندي زغلول. والكاتب الألمي إبراهيم أفندي اللقاني وأضراهما، فأمدوه بالمال والكتابة؛ ولكن الخلاف دب دبيبه بين الشريكين فلم يتفقا إلا على أن يكون المؤيد خالصاً للشيخ علي إذا أدى لشريكه مائة جنيه عيناً. فكاد يصبح الأمر فؤت يده لولا أن تلك اليد البيضاء يد سعد زغلول امتدت إليه ثانية في أحلك ساعات اليأس، فألقت إليه بصرة فيها المال كله. وسار المؤيد بعد ذلك في طريق النجاح مسدد الخطى مؤيد العزيمة يحدوه (رياض) رئيس الحكومة بنفوزه، ويمده أعيان البيان بالمقالات الممتعة، كسعد بك زغلول. والشيخ محمد عبده، والشيخ عبد الكريم سلمان، والسيد توفيق البكري، وفتحي بك زغلول، وإبراهيم بك المويلحي؛ وقاسم بك أمين، واسماعيل باشا أبازة، ومصطفى لطفى المنفلوطي. فانتشر في العالم الإسلام - شاراً لم تعرفه صحيفة قبله. وبلغ ما يطبع منه في اليوم، وعهده عهد أمية وجهالة، ممانية آلاف نسخة وأبلى في الدفاع عن الإسلام والذيادة عن العرش بلاء أرضى عن صاحبه الخليفة والخدوي والامة، فجملوا اسمه بالألقاب، وزينوا صدره بالأوسمة، وعطروا ذكره بالثناء، ولكن تجار الفساد أرهجوا بينه وبين الأجانب فرموه بالتعصب، واستعدوا عليه القناصل، فكان يتغلب على هذه العراقيل والأباطيل بصدق عزمته وقوة حزمه.

ثم أصهر إلى آل السادات من الصوفية فكان لهذا الصهر قضية وشهرة، ولكنه انتهى على ما عوده الله بالفالج والظفر فاسترد الزوجة، واغتصب السجادة الوفاية.

وعُرف الشيخ علي بالولاء للقصر والإخلاص في خدمة العرش حتى حل من الخديو عباس محل الناصح الأمين. وآل أمر صحيفته إلى أن أصبحت من القصر سنانه المسلول ولسانه الناطق. وعاش هذا الرجل العصامي النابغ على كثرة حاسديه وقوة منافسيه وُلِدَ مخالفيه موفور الكرامة مرفوع المكانة جليل الخطر في نفوس الجميع حتى اختاره الله إلى جواره في يوم السبت ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩١٣ م.

أخلاقه وفضله :

كان للشيخ عليّ حظ عظيم من نبل الخلق وفي ذلك سر نجاحه . كان دمث الطبع ، متواضع النفس ، رحب الصدر، جم المروءة، شديد الوفاء، مرهف الذهن، سريع الفطنة، شديد الاتكاء على نفسه ؛ وكان بعيد الحور، فرماه خصومه، بالمكر والدس، واسع الأناة في السياسة فرموه بالغلول والخيانة، وكان سباقاً إلى الفضل دعاءً إلى الخير لا ينسى الناس له أثره في إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية، وجعل التعليم في المدارس باللغة العربية، ولا يزالون يذكرون في ذلك قوله : «إن تعليم الأمة بلغتها ينقل العلم إليها، أما تعليمها بلغة أخرى فإنما ينقل أفراداً منها إلى العلم».

أسلوبه وعلمه :

لم يجر الشيخ في دراسته الأزهرية إلى الغاية، فلم يتعمق في علم، ولم يتبسط في أدب. ولم يبرز في فن من فنون الحياة، ولا في لغة من لغات الناس؛ ومع ذلك كان أكتب الصحفيين جميعاً! كان له أسلوب خاص لا تميزه صنعة، ولا تموهه صبغة، ولا يجمله وشي، وإنما يسحرك بلطف مدخله، وحسن ترسله، وسداد بحثه، ووثيق حجته، وقوة أسره، وكان من الكتاب الجدليين (Polémiste) الذين أوتوا قوة الحجاج وشدة العارضة وصدق النظر، ولكم وقف من الكُتّاب موقف جرير من الشعراء يجادلهم وحده حتى يقرعهم بالحق وقد عالج الشعر في صدر شبابه فلم تسترّض له قوافيه، ولم يعدُّ شأواً الأزهريين فيه. وقد جمع ما نظمه في ديوان سماه نسمة السحر نشره سنة ١٣٠٣ هـ.

نموذج من نثره :

قال من رده على خطبة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية في مصر على عهده وهي التي ألقاها على مسرح الأوبرا في حفلة وداعه :

تقفون والفلك المحرك دائر وتُقدرون فتضحك الأقدار!

وقف الخطباء مساء السبت الماضي موقف الممثلين في دار التمثيل الكبرى (الأوبرا الخديوية) يحكمون على الماضي والمستقبل حكم الأقدار في الكائنات، ويرمون

وينقضون، ويرفعون ويخفضون، والناس يسمعون مختارين أو مكرهين لأن فرسان ميدان الخطابة كانوا ثلاثة لا يزيدون ولا ينقصون، ولو أن الموقف كان حراً لكل قائل لسمعوا ما يكرهون كما قالوا ما يحبون.

قلنا إنهم وقفوا موقف الممثلين لأنهم كانوا كذلك في حقيقة الواقع. وقد مثلوا آخر فصل من رواية كثيرة الحوادث عديدة الفصول طويلة الزمان، بطل وقائعها وفارس معمعانها ذلك الذي كان آخر الخطباء في الحفلة كلاماً وأشدهم إيلاًماً وأكثرهم آلاماً.

وقف ليمثل آخر سلطنة له في هذه الديار ولسان حاله يقول:

«مافي وقوفك ساعة من باس»

مثلها في مكان هو أليق ما كان عظة لقائل، ومظهراً لسلطان راحل، ومجد زائل، وأصدق ما ضرب له الأمثال: «لكل مقام مقال».

ومنها: أما الاحتفال نفسه فلم يكن مظاهرة سياسية لإكرام الرجل عند رحيله كما أرادوا، ولكنه انقلب بما جرى فيه مظهراً عدائياً من اللورد لم ير الراءون ولم يرو الراءون مثله في مقام وداع كهذا المقام!

دعنا من كون رئيس الاحتفال أخطأ في أنه لم يكن المتكلم الأول وما عرف حتى الآن أن رئيس احتفال ورئيس وزارة معاً يقدم عليه سواه في الكلام. ودعنا من كونه خطب بالفرنساوية ولم يجعل للغة البلاد نصيباً من كلامه في احتفال كهذا. ودعنا من زعمه أنه يمثل مع الحكومة في موقفة السواد الأعظم من الأمة المصرية، والسواد الأعظم يخالفه في الرأي والقول. ودعنا من قول الكونت دي سريون إنه يتكلم عن فئة من الأوروبيين بما تشعر من حسنات الاحتلال عليها، أو هو أراد إباح السفارة الإنكليزية بباريس في وساطة له لدى حكومة الجمهورية بعد ما حالت هذه الحكومة دون إنعام ملك أسبانيا وكل إنعام تلاه من الدول الأجنبية عليه فهو ينتظر اللجيون دي تور بصبر نافذ.

دعنا من كل هذا وانظر إلى خطبة اللورد السياسية التي جعلها بمثابة وصيته الأخيرة وخاتمة أعماله في مصر.

فيما كانت الأمة المصرية واقفة موقف الأمل منتظرة من ذلك الراحل العظيم والشيخ الحكيم أن يصلح ما فرط منه نحو الشريعة الإسلامية بما قضى عليها من الجمود الأبدي، ونحو الأمة المصرية بما وصفها به من العقم السرمدى؛ بينما هي ترجو من جنابه أن ينتهز هذه الفرصة السانحة ليأسو الجراح التي جرحها، ويضمّد الكلوم التي فتحها في جسمها بما تقدم وبما أراد أن يجعل وطنيتها أعجوبة بين الوطنيات، وجامعتها كشكولا بين الجامعات وبينما كان

سمو أمير البلاد يتعطف ويتلطف ويبالغ في إكرام الراحل عند رحيله متناسياً الحزازات السياسية التي طالما كان اللورد مهاجماً فيها غير عادل ولا متلطف، وبينما كان كل هذا إذا بيركان «البيروقراطية» التي نشأ عليها اللورد ومارسها كل حياته حتى برز فيها أكثر من كل ميرز في تواريخ الحكومات المطلقة قد انفجر بركانه وقذف بلطاه على الأحياء والأموات.

وقف اللورد خطيباً وهو يدافع كيد السقام، ويجاذب داعي الخصام، فجال في خاطره أنه مفارق قصرًا تجري من تحته الأنهار، وملكاً خضع له فيه الليل والنهار، وتارك خصوصاً قد يتوهمون أنهم نازعوه فغلبوه، أو يتوهم هو أنه حالهم فأغضبوه.

وقف اللورد وله نفسان: نفس نزاعة إلى حب البقاء، وأخرى تقول كيف البقاء بعد الاستعفاء؟

وقد ذكر أصدقاءه القليلين كما يعلم، وأعداءه الكثيرين كما يتوهم، فسر وساء، وترخص وتشدد، وعدد وندد، ووعد وتوعد، وأرغى وأزبد، وحذر وأنذر، وحكم وقدر. ربما أخرج الحزين جوى الحزن ن إلى غير لائق بالسداد مثلما فاتت الصلاة سليماً ن فأنحى على رقاب الجياد

٨٤ - إبراهيم المويلحي

١٨٤٦ - ١٩٠٦ م

١٢٦٢ - ١٣٢٣ هـ

نشأته وحياته:

وُلد هذا الكاتب الكبير في بيت من بيوت التجارة الوطنية من أسرة ناعمة العيش واسعة الثروة موصولة الجاه بالأسرة الخديوية المالكة، فتدرب منذ إيقاعه على شؤون التجارة وتمرس في فنونها، إلا أن طبعه القلق اللجوج، ونفسه المتوثبة الطموح، لم يطاوعاه على الرضا بالربح المشروع فقذف بماله في وجوه (المضاربات) فما ارتد إليه منه غير صفقة المغبون. فعاش عيشة الكفاف والتعفف حتى هبت عليه نفحة من وجود اسماعيل فجعله قاضياً في محكمة الاستئناف. ولكنه اختلف هو ورئيسه اختلافاً لم ينته إلا باستقالته. فقلده الخديوي عملاً آخر فناله فيه ما ناله في التجارة والقضاء. وجاءت وزارة شريف تريد أن تضع

٨٤ - انظر ترجمته في: تاريخ الصحافة العربية: ٢/٢٧٥، ومذكرات عناني: ص ١٩٥، وانظر الأعلام للزركلي: ٤٥/١.

الدستور الأول فكان المويلجي ممن اختيروا لوضع (اللائحة الوطنية)؛ ولكن آماله كانت تسفر له دائماً عن وجوه الفشل فابتغى الوسيلة إلى الرزق في الكتابة والنشر فأنشأ (جمعية المعارف) لطبع الكتب القيمة وإذاعتها في مطبعة اشتراها لنفسه. ثم اتفق مع المغفور له محمد بك عثمان جلال مترجم مؤلِّير وصاحب العيون اليواقظ، على إنشاء جريدة (نزهة الأفكار)؛ ولكن الخديوي إسماعيل خشي شرها فألغاهها. فلما كانت سنة ١٢٩٦ هـ وخرج الخديوي مخلوعاً من ملكه إلى إيطاليا أرسل في طلب إبراهيم ليتخذه كاتب رسائله، فقام له بهذا العمل بضع سنين أنشأ في خلالها وهو في إيطاليا جريدتي «الاتحاد» و«الأنباء» فلم تتمتعاً بالحياة غير قليل. ثم رحل إلى الأستانة سنة ١٣٠٤ فأكرم عبد الحميد وفادته وجعله عضواً في مجلس المعارف فلبث فيه تسع سنين اتصلت فيها أسبابه برجال (المابين) ورؤساء الحكومة. ثم ارتد إلى مصر وقد خط الشيب في رأسه، ونالت الأيام من جسمه، فأنشأ (مصباح الشرق) وهي صحيفة أسبوعية كان يدبجها باللفظ الرشيقي والأسلوب الأنيق ويرسلها بالسهام النافذة في الاجتماع والنقد والسياسة. فقضت حاجة في نفوس الأدباء، ونهجت لهم الطريق السوي في الإنشاء، ووطأت له هو أكناف الرؤساء والكبراء واستمر على إصدارها حتى طويت صحيفة حياته.

أسلوبه:

كانت الكتابة في عهد المويلجي لا تزال ترسف في أغلال الصنعة وتكابذ أعراض الوهن، فلم يستطع قلمه أن يخرج عن سلطان البديع، ولا أن يبرأ من تكلف الحلية الظاهرة. إلا أن تصرفه في الأمور، وتقلبه في البلاد، واختلاطه بألوان الناس، واتصاله برجال البلاد، ومغامرته في السياسة، وتمرسه في الصحافة، فتقت قريحته، وذلك معانيه، وسهلت أسلوبه وأمكنته من عنان البلاغة فصرفها حيث شاء ولا سيما في الرسائل، فقد تفنن في جميع ضروبها وأحسن في سائر مناحيها. والمويلجي على ما به من ضيق المضطرب في المعاني، وضعف السليقة في الابتكار، أشبه بالبارودي في الشعر: جدد ما درس من أساليب الكتابة؛ وبيّن ما طمس من معالم البيان، وكان ركناً شديداً من أركان هذه النهضة المباركة.

آثاره:

جل ما أثر عنه مقالاته السياسية والاجتماعية التي نشرها فيما أنشأ من الصحف كنزهة الأفكار والاتحاد والأنباء ومصباح الشرق، أو فيما أعان عليه منها كضيء الخافقين في إنجلترا والعروة الوثقى في فرنسا. وله غير ذلك كتاب «الفرج بعد الشدة» في وزارة رياض باشا، وكتاب «ما هنالك» وصف فيه حال الأستانة ورجال المابين قبل الدستور العثماني.

٨٥ - حفني ناصف

١٨٥٦ - ١٩١٩ م

١٢٧٢ - ١٣٣٧ هـ

نشأته وحياته :

ولد محمد حفني ناصف بن الشيخ إسماعيل ناصف عام ١٢٧٢ للهجرة في ضاحية من ضواحي القاهرة تدعى بركة الحج يتيماً فقيراً، فكفله خاله وجدته لأبيه. ثم دخل كتاب القرية فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جزءاً من القرآن. ثم فر إلى الأزهر في الحادية عشرة من عمره فمكث فيه ثلاث عشرة سنة؛ ثم سلك نفسه في الداخلين (دار العلوم) فتقف علومها وعين أستاذاً للغة العربية في المدارس الأميرية. ثم اختير للتدريس في مدرسة الحقوق فوقع في نفسه أن يشرك طلبتها في دروسهم. فدرس القانون وترك التدريس وانتخب كاتباً للنائب العمومي. ثم عين قاضياً سنة ١٨٩٢ م في المحاكم الأهلية. وبلغ من أمره في القضاء أن صار وكيلاً لمحكمة طنطا الأهلية. وفي غضون ذلك انتدب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية، فألقى فيه محاضرات ممتعة جمعت في كتاب خاص. ولما أقعد الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية الأكبر في وزارة المعارف خلفه الأستاذ حفني بك، فأزهرت دولة الأدب واعتز جانب اللغة. وقضى هذه الفترة القصيرة في التنقيب والتنقيح حتى شارف الستين فأحيل على المعاش وما عمر بعد ذلك إلا ثلاث سنين. ثم وافاه أجله في أواخر نوفمبر من سنة ١٩١٩ م ودفن في مقبرة الشافعي.

أخلاقه :

كان رحمه الله فكه الحديث، مليح النادرة، حاضر البديهة، سريع الجواب، كثير الدعابة، رضي الخلق، مشاركاً في كل علم وفن، جارياً مع القديم والحديث.

ثوره وشعره :

حفني بك ناصف ركن من أركان النهضة الأدبية الحديثة. أحيها بأبحاثه ومؤلفاته، وقواها بقصائده ومقالاته. وهو ضليع في فنون اللغة، خبير بقواعد اللسان، بصير بأسرار الكلام ونقده. وأسلوبه في الرسائل يجري على منهاج المتأخرين من كتّاب العصر العباسي في الكلف بالسجع والقصد إلى البديع. وله أسلوب مرسل في المقالات يجرده من زخرف

٨٥ - انظر ترجمته في: سبل النجاح: ١٩٧/٢، وتقويم دار العلوم: ص ٢٤١، والشعر العربي المعاصر: ص ٥١ - ٥٥، ومجلة مجمع اللغة العربية: ٣/٣٥٨، وانظر الأعلام للزركلي: ٢/٢٦٥.

الصناعة فيسيل رقة وسلاسة. أما شعره فنمط من الأسلوب النثري المنظوم، تكثر فيه المُلح والمحسنات اللفظية ويظهر الضعف في تراكيبه أحياناً، إلا أنه على الجملة سلس مطبوع.

مؤلفاته:

له مع غيره سلسلة في قواعد اللغة العربية كانت تدرس في المدارس المصرية وكتاب (مميزات لغة العرب) قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الذي أقيم في فينا سنة ١٨٨٦ م وقد كان كاتب سر الوفد الذي مثل مصر في هذا المؤتمر، وكتاب (حياة اللغة العربية) وهو مجموع محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية، وكتاب القطار السريع في علم البديع، ورسالة في البحث والمناظرة، وأخرى في المنطق، وكتاب الأمثال العامية، وبديع اللغة العامية. وأكثر كتبه غير مطبوع.

نموذج من شعره:

قال يخاطب أحد الرؤساء:

من طول ما لاقيت من إخواني
أعراضهم بجوارحي ولساني
كانت بداية أمرهم نسياني
فردُّ فكنه ولا احتياج لشان

أحييت آمالي وكنت أمتها
أدلي بإخلاصي لهم وأذود عن
محضتهم ودي فلما أيسروا
حسبي من الدنيا صديق ثابت

وقال أيضاً:

ومانلتها إلا بطول عناء؟
لإعطائها من يستحق عطائي
وجاهاً، فما أشقى بني الحكماء

أتقضى معي إن حان حيني تجاربي
ويحزنني ألا أرى لي حيلة
إذا ورث المُثرون أبناءهم غنيٌّ

ومن نثره رسالة عزى بها الشيخ علي يوسف في ولده:

خفف الله لوعتك، وأرقاً دمعتك، وجنبك الجزع، ووقاك الهلع، وألهمك الصبر، وأجزل لك الأجر، ورزقك من البنين، في مستقبل السنين، ما تقر به عينك، ويقوى به عناك. وأنت والحمد لله في قوة، وبقية من الفتوة، تمكّنك من الأبوة، لخير البنوة. على أن لك في عالم السياسة، وضروب الكياسة، في هذه البلاد، ألوناً من الأولاد، وأثاراً كبرى، تضمن لك الذكرى، وتجعل لك على مدى السنين، لسان صدق في الآخرين. والسلام عليك ورحمة الله.

٨٦ - باحثة البادية

١٨٨٣ - ١٩١٨ م

١٣٠٠ - ١٣٣٦ هـ

نشأتها وحياتها:

هي السيدة الفاضلة ملك ناصف بنت الشاعر الكاتب حفني بك ناصف .

وُلدت بالقاهرة يوم الاثنين من شهر ديسمبر سنة ١٨٨٣ وتلقت مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة . ثم دخلت المدرسة السنية في أكتوبر من سنة ١٨٩٣ م ونالت منها الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات المصريات إلى نيل هذه الشهادة . ثم انتقلت إلى قسم المعلمات من هذه المدرسة فنالت منها إجازة التدريس ومارست بعد ذلك التعليم في مدارس البنات الأميرية . وفي سنة ١٩٠٧ م بنى بها عبد الستار الباسل وهو سريٌّ من سراة قبيلة الرماح بالفيوم، فتركت التدريس وعكفت على الكتابة والتأليف، وعاشت مع زوجها عيشة الزوجة المخلصة البرّة حتى توفيت بالحمى الإسبانية في أكتوبر من سنة ١٩١٨ م وهي في زهرة العمر ونضرة الشيبية .

مكاتها في العلم والأدب:

أظهر ما تدل عليه كتابة الباحثة من أخلاقها عذوبة الروح وسراوة الخلق وذكاء الطبع وصحة الدين والرغبة في الإصلاح . تعهدا والدها الكريم منذ طفولتها فغذاها بأدبه، ونفث فيها من روحه، فأخذت تعالج القريض وهي في الحادية عشرة من عمرها . ثم توافرت على صناعة الإنشاء فبلغت منها مكانة تحسدها عليها الرجال . عنيت بإنهاض المرأة المصرية بعد قاسم أمين، فكانت أول مصرية مسلمة جاهرت بالدعوة العامة إلى هذا العمل في بيئة لا تزال رجعية . ألفت في هذا الموضوع سلسلة من المحاضرات في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة ويرأس تحريرها الأستاذ أحمد لطفي السيد، وكتبت عنه طائفة من المقالات في هذه الصحيفة بأمضاء «باحثة البادية» فصار لقباً غلب عليها .

جمعت هذه المقالات في كتاب عنوانه «النسائيات» ونشرت منه جزأه الأول . ثم شرعت في آخر حياتها تؤولف كتاباً مطولاً سمته «حقوق النساء» أنجزت منه ثلاث مقالات ثم حالت المنية عن إتمامه .

٨٦ - انظر ترجمتها في : مجلة المقتطف : ٤٩٧/٥٣ ، وبلاغة النساء : ص ٣ ، وانظر الأعلام للزركلي :

نموذج من كلامها:

من قولها في كتاب النسائيات:

ما أنقى الهواء، وأعذب الماء، وأصفى السماء في القرى! وما أكذب الحياة وأقرب الوفاة في المدن! القرى جميلة لأنها على الفطرة. أما المدن فلا تعدم أثراً للتكلف والرياء. أين دوي الكهرياء، من خرير الماء، والدخان المتعاقد فوق المداخن، من جولا ترى فيه إلا تحليق الصقور وإلا رؤس النخل الباسقات! وأين وحل الشارع وعثيرها من أرض كسيت ببساط النبات؟ وأين الرائحة المنبعثة من مقاذير المنازل وروث الدواب من شذى أزهار الحقول؟ بل ما أضل البصر يريد الجولان فيرده من هنا جدار ومن هناك سور، من نظر تسرحه حيث شئت فلا تجد إلا اللانهاية في الفضاء!

ومن قصائدها في حال المرأة قصيدة مطلعها:

أَعْمَلْتُ أَقْلَامِي وَحِينَا مَنْطِقِي
أَيْسُوؤُكُمْ أَنْ تَسْمَعُوا لِبِنَاتِكُمْ
أَيْسِرْكُمْ أَنْ تَسْتَمِرَّ بِنَاتِكُمْ
هَلْ تَطْلُبُونَ مِنَ الْفِتَاةِ سَفُورَهَا؟
لَا تَتَّقِي الْفَتِيَّاتُ كَشَفِ وَجُوهَهَا
تَخْشَى الْفِتَاةَ حَبَائِلًا مَنْصُوبَةً
لَا تَظْفَرُوا بَلْ أَصْلِحُوا فِتِيَّاتِكُمْ
وَدَعُوا النِّسَاءَ وَشَأْنَهُنَّ فَإِنَّمَا
لَيْسَ السَّفُورُ مَعَ الْعَفَافِ بَضَائِرِ

فِي النَّصْحِ وَالْمَأْمُولِ لَمْ يَتَحَقَّقْ
صَوْتًا يَهْزُ صَدَاهُ عَطْفَ الْمَشْرِقِ؟
رَهْنُ الْأَسَاوِرِ وَرَهْنُ جَهْلِ مَطْبِقِ؟
حَسَنٌ، وَلَكِنْ أَيْنَ بَيْنَكُمْ التَّقِي؟
لَكِنْ فَسَادُ الطَّبَعِ مِنْكُمْ تَتَّقِي
غَشِيْتُمُوهَا فِي الْكَلَامِ بِرَوْنِقِ
وَبِنَاتِكُمْ وَتَسَابِقُوا لِلْأَلِيْقِ
يَدْرِي الْخِلَاصُ مِنَ الشَّقَاوَةِ مِنْ شَقِي
وَبِدُونِهِ فَرَطُ التَّحْجَبِ لَا بَقِي

٨٧ - مصطفى لطفى المنفلوطي

١٨٧٦ - ١٩٢٤ م

١٢٩٢ - ١٣٤٢ هـ

نشأته وحياته:

ولد السيد مصطفى لطفى بمنفلوط من أعمال مديرية أسيوط سنة ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م

٨٧ - انظر ترجمته في: النظرات: ص ٩ - ٣١، والكنز الثمين: ص ٢٦٨، ومشاهير شعراء العصر ٣٢٠/١ - ٣٤١، والثغر الباسم في مناقب أبي القاسم: ص ٢٩، ومعجم المطبوعات: ١٨٠٥، وجامع التصانيف الحديثة: ١٣/٢، وانظر الأعلام للزركلي: ٢٣٩/٧ - ٢٤٠.

ونشأ في بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتي سنة. ونهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثقافة فحفظ القرآن في المكتب. وتلقى العلم بالأزهر، ولكنه كان على الكره من ورع قلبه ورعاية أبيه لا يلقي باله كثيراً لغير علوم اللسان وفنون الأدب. فهو يحفظ الأشعار ويتصيد الشوارد ويصوغ القريض وينشئ الرسائل، وتسير له شهرة في الأزهر بذكاء القريحة وروعة الأسلوب فيقربه الأستاذ محمد عبده، ويرسم له الطريقة المثلى إلى الغاية من الأدب والحياة. ثم يستفيد المنفلوطي من قربته إلى الإمام صلته بسعد باشا زغلول، ومن زلفاه لدى هذين العظميين نفوذه لدى صاحب (المؤيد)، وهؤلاء الثلاثة كانوا أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي الأديب بعد استعداد فطرته وإرشاد والده، وفي أثناء طلبه في الأزهر نسب إليه أنه هجا الخديو عباس حلمي الثاني بقصيدة نشرها في إحدى الصحف الأسبوعية فحكم عليه من أجلها بالحبس وقضى في السجن مدة العقوبة. ولما قبض الله الإمام إلى رحمته جزع المنفلوطي فيه على رجائه وسنده، وارتد مقطوع الرجاء إلى بلده. ثم نعش الله عاثر أمله بعد فترة من الزمن، فهب بيتغي في جريدة (المؤيد) الوسيلة والنجاح. ثم صارت إلى سعد باشا وزارة المعارف فعيّنه محرراً عربياً لها. ولما تحاول إلى وزارة الحقانية (العدل) حوّلته معه وولاه فيها مثل هذا المنصب. ثم انتقل الحكم إلى غير حزبه فنقل من عمله حتى إذا قام البرلمان، عيّنه سعد باشا في وظيفة كتابية بمجلس النواب ظل فيها حتى توفاه الله وهو في العقد الخامس من عمره.

أخلاقه :

كان المنفلوطي قطعة موسيقية في ظاهره وباطنه؛ فهو مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الفكر، متسق الأسلوب، منسجم الزي لا تلمح في قوله ولا في فعله شذوذ العبقرية ولا نشوز القدامة. كان صحيح الفهم في بطنه، سليم الفكر في جهده، دقيق الحس في سكونه، هبوب اللسان في تحفظه وهذه الخلال تظهر صاحبها للناس في مظهر الغبي الجاهل، فهو لذلك كان يتقي المجالس ويتجنب الجدل ويكره الخطابة، ثم هو إلى ذلك رقيق القلب عف الضمير سليم الصدر صحيح العقيدة نفاع اليد موزع العقل والفضل والهوى بين أسرته ووطنيته وإنسانيته.

أسلوبه وأدبه :

كان المنفلوطي أديباً موهوباً، حظ الطبع في أدبه أكثر من حظ الصنعة؛ لأن الصنعة لا تخلق أديباً مبتكراً ولا أديباً ممتازاً ولا طريقة مستقلة. وكان الشر الفني على عهده لوناً حائلاً من أدب القاضي الفاضل، أو أثراً ماثلاً لفن ابن خلدون؛ ولكنك لا تستطيع أن تقول إن أسلوبه كان مضروباً على أحد القالبين، إنما كان أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره، بديعاً أنشأه الطبع القوي على غير مثال.

عالج المنفلوطي الأقصوصة أول الناس وبلغ في إجادتها شأواً ما كان ينتظر ممن نشأة
كنشأته في جيل كجيله. وسر الذبوع في أدب المنفلوطي أنه ظهر على فترة من الأدب
اللباب، وفاجأ الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الألم ويمثل العيوب في أسلوب طلي
وبيان عذب وسياق مطرد ولفظ مختار. أما صفة الخلود فيه فيمنع من تحققها أمران: ضعف
الأداة وضيق الثقافة. أما ضعف الأداة فلأن المنفلوطي لم يكن واسع العلم بلغته ولا قوي
البصر بأدبها. لذلك تجد في تعبيره الخطأ والفضول ووضع اللفظ في غير موضعه. وأما
ضيق الثقافة فلأنه لم يتوفر على تحصيل علوم الشرق، ولم يتصل اتصالاً مباشراً بعلوم
الغرب. لذلك تلمح في تفكيره السطحية والسذاجة والإحالة. وجملة القول أن المنفلوطي
في النثر كان كالبارودي في الشعر: كلاهما أحيا وجدد. ونهج وعبد، ونقل الأسلوب من
حال إلى حال.

مؤلفاته و مترجماته :

له كتاب (النظرات) في ثلاثة أجزاء جمع فيه ما نشره في المؤيد من الفصول في النقد
والاجتماع والوصف والقصص. وكتاب (العبرات) وهو مجموعة من الأقاصيص المنقولة
والموضوعة. ثم (مختارات المنفلوطي) من أشعار المتقدمين ومقالاتهم. وقد ترجم له بعض
أصدقائه عن الفرنسية: تحت ظلال الزيزفون (مجدولين) لألفونس كار، وپول وفرجينى
(الفضيلة) لبرناردي سنان بيير، وسيرانودبرجراك (الشاعر) لأدمون رستان، فصاغها بأسلوبه
البليغ الرصين صياغة حرة لم يتقيد فيها بالأصل، فأضافت إلى ثراء الأدب العربي ثروة،
وكانت للفن القصصي الحديث قوة وقدوة.

نموذج من نشره :

الغني الفقير

مررت ليلة أمس برجل بائس، فرأيتة واضعاً يده على بطنه كأنما يشكو ألماً، فرثيت
لحاله، وسألته ماله، فشكا إليّ ألم الجوع، ففتأتة عنه ببعض ما قدرت عليه، ثم تركته
وذهبت إلى صديق لي من أرباب الثراء والنعمة فأدهشني أنني رأيتة واضعاً يده على بطنه،
وأنة يشكو من الألم ما يشكو ذلك البائس الفقير، فسألته عما به، فشكا إليّ البطن، فقلت «يا
للعجب! لو أعطيت ذلك الغني ذلك الفقير ما فضل عن حاجته من الطعام ما شكا واحد
منهما سقماً ولا ألماً. لقد كان جديراً به أن يتناول من الطعام ما يشبع جوعته ويطفىء غلته؛
ولكنه كان محبباً لنفسه مغالياً بها فضم إلى مائدته ما آختلسه من صحفة الفقير، فعاقه الله
على قسوته بالبطنة؛ حتى لا يهنىء للظالم ظلمه، ولا يطيب له عيشه، وهكذا يصدق المثل
القائل: «بطنة الغني انتقام لجوع الفقير».

ما ضنت السماء بمائها، ولا شحت الأرض بنياتها، ولكن حسد القوي الضعيف
عليهما فزواهما عنه واحتجهما دونه، فأصبح فقيراً معدماً شاكياً متظلماً، غرماؤه المياسير
الأغنياء، لا الأرض والسماء.

ما أظلم الأقوياء من الإنسان، وما أقسى قلوبهم! ينام أحدهم ملء جفنيه على فراشه
الوثير ولا يقلقه في مضجعه أنه يسمع أنين جاره، وهو يرعد برداً وقرأً، ويجلس أمام مائدة
حافلة بصنوف الطعام، قديده وشوائه، حلوه وحامضه، ولا ينغص عليه شهواته علمه أن
بين أقربائه وذوي رحمه من تتوآب أحشاؤه شوقاً إلى فتات تلك المائدة، ويسيل لعابه تلهفاً
على فضلاتها، بل إن بينهم من لا تخالط الرحمة قلبه، ولا يعقد الحياء لسانه، فيظل يسرد
على مسمع الفقير أحاديث نعمته، وربما استعان به على عدّ ما تشتمل عليه خزائنه من
الذهب، وصناديقه من الجواهر، وغرفة من الأثاث والرياش، ليكسر قلبه وينغص عليه
عيشه، ويبغض إليه حياته؛ وكأنه يقول في كل كلمة من كلماته وحركة من حركاته: «أنا
سعيد لأنني غني. وأنت شقي لأنك فقير».

لا أستطيع أن أتصور أن الإنسان إنسان حتى أراه محسناً، لأنني لا أعتمد فضلاً
صحيحاً بين الإنسان والحيوان إلا الإحسان. وإني أرى الناس ثلاثة: رجل يحسن إلى غيره
ليتخذ إحسانه إليه سبيلاً إلى الإحسان إلى نفسه، وهو المستبد الجبار الذي لا يفهم من
الإحسان إلا أنه يستعبد الإنسان. ورجل يحسن إلى نفسه، ولا يحسن إلى غيره، وهذا الشره
الذي لو علم أن الدم السائل يستحيل إلى ذهب جامد لذبح في سبيله الناس جميعاً، ورجل
لا يحسن إلى نفسه ولا إلى غيره، وهذا البخيل الأحمق الذي يجيع بطنه ليشبع صندوقه.

أما الرابع الذي يحسن إلى غيره ويحسن إلى نفسه فلا أعلم له مكاناً، ولا أجد
إليه سبيلاً. وأحسب أنه هو الذي كان يفتش عنه الفيلسوف اليوناني ديوجين الكلبي حينما
سئل ما يصنع بمصباحه وكان يدور به في بياض النهار فقال: «أفتش على إنسان».

٨٨ - عبد العزيز شاويش

١٨٧٦ - ١٩٢٩ م

١٢٩٢ - ١٣٤٧ هـ

نشأته وحياته:

ولد عبد العزيز بن خليل شاويش في الإسكندرية من أسرة مغربية الأصل تشتغل

٨٨ - انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي: ١٧/٤، وجريدة منبر الشرق: ٢/صفر/١٣٦٣.

بالتجارة. ثم تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن في أحد الكتاتيب، ثم طلب علوم الدين والعربية في جامع الشيخ بالإسكندرية فشدًا شيئاً منها أهله إلى أن يفد إلى القاهرة ويدخل الجامع الأزهر. وكان أذكى الأزهريين يومئذ يعدون أنفسهم إلى الدخول في (دار العلوم) لأنها كانت أقصر الطرق إلى التعليم والمحاماة، وأنجح الوسائل إلى التجرد والرفاهية، فدخلها الشيخ عبد العزيز، وأشتهر بين لداته بالجد والاستقامة، والغيرة على الدين والكرامة ولما نال إجازتها تولى التدريس في مدرسة الناصرية ردهاً من الدهر، ثم اختير في بعثة إلى إنجلترا ليتخصص في التربية والآداب، فتعلم اللغة الإنجليزية وأطلع منها على الآداب الأوروبية فأزداد علمه وأكمل بيانه وتنوعت ثقافته. ثم رجع إلى مصر فعين مفتشاً بوزارة المعارف. وعاد ثانية إلى إنجلترا ليعلم اللغة العربية في جامعة (أكسفورد) ثم انتهى أمره إلى أن يعود إلى مصر ويرجع إلى التفتيش وكان بينه وبين زميله المرحوم عاطف بركات منافسة في الطلب وفي الوظيفة؛ وكان بين عاطف بركات وبين وزير المعارف وهو يومئذ سعد باشا زغلول قرابة واشجة، فظن الشيخ عبد العزيز أن لهذه القرابة أثراً في تقديم منافسه عليه فاستقال من العمل في وزارة المعارف سنة ١٩٠٨ وانضوى إلى لواء الحزب الوطني. ثم أصبح بعد موت الزعيم مصطفى باشا كامل رئيساً لتحرير (الواء). ثم جرّت عليه صراحته في التحرير وشجاعته في الحق وحماسه في السياسة، متاعب كثيرة منها الحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر في جريمة من جرائم الرأي. فلما خلوا سبيله رحل إلى أوروبا. وشبت الحرب العالمية الأولى فشق عليه الرجوع فظل هناك يقاسي مكاره الغرب من فراق الأهل وإلحاح الفقر وخذلان الصديق، حتى وقفت رحا الحرب فعاد إلى وطنه مضطرباً الآمال خائر القوى، فتجهمت له بعض الوجوه، وانقبضت عنه أكثر الأيدي، وحاول أن يعود إلى السياسة من طريق البرلمان فلم يفلح، فأنصرف إلى اكتساب الرزق من ناحية الصحافة حتى أدركته رعاية الملك فؤاد فعين مراقباً للتعليم الوظيفة الأولى في وزارة المعارف؛ فأضطلع بأعباء هذا المنصب المرهق بضع سنين. ثم أصابته علة القلب فتوفاه الله في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر يناير من سنة ١٩٢٩.

أخلاقه :

كان رحمه الله جميل السمات حسن الشارة متواضع النفس حلو الحديث لطيف الروح شديد الحياء ندي الراحة، جريئاً في الدفاع عن دينه، شجاعاً في الذيادة عن وطنه، صريحاً في الإبانة عن رأيه. سباقاً إلى كريم المساعي، فشارك في كثير من الأعمال الخيرية كتأسيس جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية، وإنشاء المدرسة الإعدادية الثانوية بالقاهرة. وقد كان في طبعه حدة تظهر على قلمه أو لسانه إذا أؤذي في كرامته أو وطنيته أو عقيدته.

أسلوبه :

كان أسلوبه خطابياً يؤثر بالعاطفة أكثر مما يؤثر بالمنطق . وكان يجري فيه مجرى الأسلوب المنسوب إلى الإمام علي في نهج البلاغة . وهو من الكتاب القلائل الذين اطلعوا على آداب الفرنجة وتأثروا بها . وكانوا وسطاً بين المذهبين القديم والحديث . كان من علماء العربية وفقهاء الدين وأعلام الصحافة فعالج الموضوعات الدينية والسياسية بالأسلوب الجزل والصنعة المقبولة ، إلا أنه كان كأكثر معاصريه قليل العناية بأختيار اللفظة المناسبة والاقتصار على الجملة الدالة .

مؤلفاته :

من مؤلفاته التي نعرفها كتاب (غنية المؤيدين) في التربية العلمية والعملية؛ وكتاب (الإسلام دين الفطرة) في الدفاع عن الدين وبيان بعض أحكامه وكتاب (أسرار القرآن) فسر فيه بعض آي الذكر الحكيم ملائماً لروح العصر .

نموذج من نثره :

قال في فاتحة مقالاته في جريدة اللواء يوم استقال من وزارة المعارف :

«بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة، ومطيتها الدهان والتليس . في أسواقها النافقة تشتري نفسيات النفوس، بزيوف الفلوس، وتباع الذم والسرائر بالابتسام وهز الرأس . ويمنك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة، حياة الصراحة في القول، حياة الجهر بالرأي، حياة الإرشاد العام، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة . أستقبل هذه الحياة بعد أن قضيت في سابقتها ثماني حجج، بلغت فيها ذلك المنصب الذي كنت فيه ما بين محسود عليه ومرجو فيه . أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر، منبرياً في ميدانها، فإما إلى الصدر، وإما إلى القبر . موقناً بما أعد الله لعباده العاملين المخلصين، من الظفر والفتح المبين» .

ومن مقاله بعنوان «مدرسو اللغة العربية المصريون في بلاد الإنجليز» :

«نصح إليّ المستر دنلوب أيام سافرت إلى أكسفورد، أن أقتدي بما أراه من الأخلاق الفاضلة في تلك الأمة العظيمة، فماذا جرى؟ ذهبت إلى تلك الديار فوجدت الناس متمسكين بدينهم فزادوني تمسكاً بديني . رأيتهم شديدي الحرص على لغتهم فزادوني حرصاً على لغتي . أبصرتهم يتفانون في الدفاع عن بلادهم ويحرمون على الأجانب الاستيلاء على بعض شؤونهم أو التصرف في أموالهم ورقابهم فأخذت أحكيهم في هذه البلاد السيئة الحظ بالاحتلال وأشياعه . رأيتهم يحبون الصراحة، ولا يخشون معتبة، ولا يتهيون معتبة، ما دام الحق لهم فأخذت أحكيهم في تلك الفضائل التي نصح بها إلى

عميدهم بنظارة المعارف العمومية! أبصرتهم يحبون العمل ويكرهون الكسل، ويحضون على الفضيلة، فعدت إلى بلادي، ثم صرت أشتغل بهمة لا تعرف الملل ولا الانقطاع، فكان حقاً على الإنجليز أن يرفعوا عقيرتهم، ويقوم خطباؤهم وشعراؤهم بالإفاضة والإسهاب في مدح من نجح في تقليدهم ومحاكاتهم في فضائلهم، ممن يرحلون إلى بلادهم من المصريين!».

الأدباء

٨٩ - ناصيف اليازجي

١٨٠٠ - ١٨٧١ م

١٢١٤ - ١٢٨٧ هـ

نشأته وحياته:

ولد ناصيف بن عبد الله اليازجي بكفرشما من قرى لبنان ونشأ في بيت فضل وعلم وأدب، وبدأ بتعلم الهجاء على أحد القساوسة، ومبادئ الطب على أبيه، وصبت نفسه إلى الآداب فطفق يطلبها ويحصلها، والكتب يومئذ نادرة وتجارها بائرة ومطلبها بعيد. فكان إذا وقع في يده مخطوط حفظه أو نسخه أو لخصه، حتى غزرت مادته، وكملت آتته، وبلغ حفظه من المنثور والمنظوم، فأستكتبه الأمير بشير الشهابي وهو في أوج عزه فكتب له ولزمه اثنتي عشرة سنة حتى أخرج من بلاده سنة ١٨٤٠، فنزل الشيخ بأهله إلى بيروت وأنقطع إلى المطالعة والتأليف والتدريس ومراسلة الأدباء ومساجلة الشعراء حتى مني في أعقاب عمره بفالج نصفي عطل شطره الأيسر. ثم فجع في بكر أولاده الشيخ حبيب، فضعفت هذه الفاجعة قواه وهدت ركنه ولم يعيش بعده إلا يسيراً.

نثره وشعره:

ترسم الشيخ خطوات الحريري وأنتهج نهجه، فأولع بالبديع، وأفتن في الصناعة، وكلف بالغريب. وعالج المقامات فأنشأ منها ستين مقامة أجاد فيها التقليد وأتقن الاحتذاء وبلغ من الحلية اللفظية الغاية. وأعجب بالمتنبي في الشعر كما أعجب بالحريري في النثر،

(٨٩) انظر ترجمته في: أعيان البيان: ص ٦٠، وآداب اللغة: ٢٥٩/٤، ورواد النهضة الحديثة ص ٦٣ - ٧٧، والأعلام للزركلي: ٣٥١/٧. وانظر أيضاً معجم المطبوعات: ١٩٣٣ - ١٩٣٩.

ولكن تقليده لأبي الطيب كان أضعف، وتخلفه عن مجاراته كان أظهر. فجاء شعره على طول معالجته له وقوة طبعه فيه أشبه بشعر الحريري وأضرابه، وبخاصة تلك القصائد التي تكلف فيها التاريخ الشعري، فقد غالى في ذلك وأسرف حتى كان يضمن البيتين ثمانية وعشرين تاريخاً! أو ينظم القصيدة فيلتزم في كل شطرة من شطراتها تاريخاً كقصيدة في تهنئة إبراهيم باشا بفتح عكاء، أو ينظم القصيدة كلها من الحروف المهملة كقوله:

حول در حل ورد هل له للحر ورد

على أن له قصائد تهب عليك من خلال أبياتها نفحات أبي الطيب فيجزل لفظها ويقوى أسلوبها وتفيض بالمعاني المبتكرة والحكم البالغة والأمثال السائرة.

علمه ومؤلفاته:

آثار اليازجي تدل على مادة غزيرة في اللغة، وأطلاع واسع في الأدب، وإتقان عجيب لعلوم اللسان. فله كتاب مجمع البحرين وهو مجموع مقاماته الستين التي قلدها الحريري. وله (الجمانة) (وجوف الفرا) وهما أرجوزتان أولاهما في الصرف وأخرهما في النحو، و(فصل الخطاب) وهو مختصر في النحو والصرف، و(عقد الجمان) في علم البيان، و(نقطة الدائرة) في العروض والقوافي، و(قطب الصناعة) في المنطق. ثم دواوين شعره وهي (نفحة الريحان) و(فاكهة الندماء في مراسلة الأدباء) و(ثالث القمرين). وأكثر كتبه مؤلف على نمط مدرسي ولا تزال تدرس في معظم المدارس اللبنانية المسيحية.

نموذج من كلامه:

قال من قصيدة يمدح بها أسعد باشا قائد جيش البلاد العربية:

بناء العلى بين القنا والبوارق	على صهوات الخيل تحت البوارق
ولله سرّ في العباد وإنما	قليل محل السر بين الخلائق
يقلب هذا الدهر أحوالنا كما	تقلب فينا لاحقاً إثر سابق
ولولا اختيار الدولة ابن سريها	لما اعتمدته في المعاني الدقائق
كريم تولى الأمر يصلح أمره	كفتق تولته أنامل راتق
أقام السرايا ينفر الموج خيلها	بكل لواء فوق لبنان خافق
يحدث أهل الغرب في كل ليلة	بما فعلت غاراته في المشارق
فيعجب من أفعاله كل عاقل	ويثني على أفضاله كل ناطق
تضيق بحار الشعر عنه وتستحي	يبحر لها في بحر كفيه غارق

٩٠ - أحمد فارس الشدياق

١٨٠٤ - ١٨٨٧ م

١٢١٨ - ١٣٠٤ هـ

نشأته وحياته:

ولد هذا الكاتب اللغوي في عشقوت من أعمال لبنان من أسرة مارونية. ثم دخل مدرسة عين ورقة فتلقى مبادئ القراءة، وشدا شيئاً من اللغة والنحو على أخيه أسعد. وبدأ يقرض الشعر وهو في العاشرة من عمره. وصغت نفسه منذ طفولتها إلى حفظ المفردات والمترادفات فحصل منها قسطاً وفيراً ظهر أثره بعد في خطبه وكتبه. وحدث أن أخاه أسعد وهو وليه وصفيه ترك مذهب والديه وأعتقد المذهب الإنجيلي فأضطهده عشيرته وكهنته حتى مات مقهوراً في محبسه. فشق ذلك على فارس فخرج مغاضباً إلى مصر تحت حماية المرسلين الأمريكيان ورعايتهم، ف قضى بها حقبة من الدهر بين تعلم وتعليم. ثم بعث به الأمريكان سنة ١٨٣٤ إلى مالطة ليصحح ما تخرجه مطبعتهم فيها. وأرسلت في طلبه وهو هناك جمعية التوراة بلندن ليحرر ترجمتها العربية فرحل إليها وأقام بلندن ما أقام ثم أنصرف عنها إلى باريس، وكان يزورها يومئذ أحمد باشا باي تونس فأتصل به الشدياق ومدحه فنفق لديه، وظاهر الأمير نعمه عليه، حتى قال الشاعر: «ما كنت أحسب أن الدهر ترك للشعر سوقاً ينفق فيها» ثم اعتنق الإسلام وهو في تونس وسمي نفسه أحمد. وظل يكتب في الرائد التونسي ويتقلب في نعمة الباي، وفضله يظهر وذكره يذيع حتى طلبته الصدارة العظمى فرحل إلى الأستانة وأنشأ جريدة «الجوائب» وأودع فيها من فنون النثر وعيون الشعر وضروب السياسة ما رواه لسان الحمد، وتناقلته بُردُ الشرق والغرب. وكان في سياسة الشرق مرجعاً وحجة. فسعى إليه المجد والثراء، وخطب وده الأمراء والعلماء، وكافأته الدولة العلية بالألقاب والأوسمة. ثم تخلى عن إدارة الجوائب لولده سليم وهو في أعقاب عمره، فما زالت تصدر عن براعة ولباقة وقوة حتى عطلت سنة ١٨٨٤ على أثر الحوادث السودانية. ثم ورد الشدياق مصر وقد تنفس به العمر وحدد وجهه الكبير، فأحسن المصريون وأميرهم لقاءه ووفادته، وأكرموا مثواه وإقامته، ثم ارتد إلى الأستانة فوفاته بها منيته.

نثره وشعره:

كان الشدياق متضلِعاً من فنون الأدب، متصرفاً في فنون الإنشاء من هزل ومجون

(٩٠) انظر ترجمته في: أعيان البيان: ص ١١١، وآداب شيخو: ٧٩/٢، وآداب اللغة: ٢٦١/٤، وأعلام اللبنانيين: ص ٧٥، وتاريخ الصحافة العربية: ٩٦/١، ودائرة المعارف الإسلامية: ٤٩٠/١، وانظر الأعلام للزركلي: ١٩٣/١.

ووعظ وأدب وسياسة. حافظاً لمفردات اللسان، بصيراً بمذاهب البيان، يجيد النظم والنثر. وكان أسلوبه منسجم التراكيب، متساق المعاني، موفور الازدواج، شديد الإطناب، كثير الاستطراد، ظاهر المبالغة. أما شعره فأدنى رتبة وأقل جودة وأضعف ابتكاراً من نثره. فهو في النثر مجدد وفي النظم مقلد وفي كليهما بالنسبة إلى أهل عصره سابق مجيد.

مؤلفاته:

له غير الفصول التي نشرتها الجوائب في ثلاث وعشرين سنة كتب قيمة تدل على سعة اطلاعه وطول باعه. وأشهرها:

كتاب (سر الليال في القلب والإبدال) وهو كتاب لغوي تحليلي يشتمل على سرد الأفعال المتداولة والأسماء المستعملة واستدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ أو مثل أو إيضاح عبارة أو تنسيق مادة. وقد طبع بالأستانة سنة ١٢٨٤ هـ ثم كتاب (الساق على الساق فيما هو الفاريق) والفاريق كلمة نحتها من فارس الشدياق وأطلقها على نفسه. أنشأ هذا الكتاب الضخم أثناء سياحته في أوروبا فوصف فيه أسفاره وأخباره وما كابدته في صدر حياته، وندد برجال الكنيسة أخذاً منهم بئار أخيه. ثم أورد الألفاظ المترادفة في كل موضع على حدة كأصناف المأكول والمشروب والمشموم والحلي والجواهر، وذلك أجل ما في الكتاب. وقد يؤخذ على المؤلف جرأته على الأدب وتطرفه في المجون واستعماله من الألفاظ ما لا يصدر عن مثله، ولا يليق بفضله.

ثم كتاب (الجاسوس على القاموس) جمع فيه المآخذ التي أخذها على قاموس الفيروزآبادي. ثم (كشف المخيا عن أوروبا) وهو وصف شامل لسياحته في البلاد الأوروبية. و(الواسطة في أحوال مالطة) وهو وصف لهذه الجزيرة: أراضيها وأهلها وحاضرها وماضيها.

نموذج من كلامه:

من الناس من يبالي في مدح وطنه، ويحن إليه حنينه إلى سكنه، فيصف مروجه ورياضه، وبروجه وحياضه، ووهاده وجباله، وتلاعه وتلاله، وربوعه ودياره، ونباته وأشجاره، وبقوله وثماره، ودوحه وأطياره، وطيب هوائه، ولذته مائه، ويزعم أن فصوله كلها كالربيع حسناً، وأن جميع أقطاره تندفق بركة ويمناً، وأن شهراً فيه خير من ألف عام في غيره، وأن كل بلد مستمد من خيره، ومحتاج إلى ميره ثم يزفر زفير الهائم الحيران، ويصرخ صراخ الولهان: ألا إن حب الوطن من الإيمان. لقد جبت السهول والحزون، وركبت الذلول والأمون، وطوفت في الأمصار، وجوّلت الأقطار؛ وضربت في مناكب الأرض مستقصياً، واختبرت أحوال من عليها مستفتياً؛ فلم أجد عيشاً هنيئاً إلا في بلادي. هي البلاد التي تغزلت بها الشعراء، فقال فيها فلان أبياتاً، وقال فيها فلان قصيدة غراء، وأسمع ما قيل

في جداولها ونواعيرها، وبلابلها وعصافيرها، وخمائلها وأزاهيرها، وصورها وقصورها، ومصانعها ودورها، وطبائها ومراتعها، وزكائها ومواقعها، وفي أريج آفاقها، وبهيج أشفاقها، ونضرة حدائقها، وبهجة شقائقها، فإذا قلت له: كيف جارك الأدنى؟ لعله كان لك عوناً وخذناً! قال: وَيَلِيّ إِنَّهُ شَرٌّ جَارٌ، وهو على البلاد عار وشنار. فكيف جاره الذي يليه؟ عسى أنه ممن توافه وتصافيه! قال: وَيَلِيّ إِنَّهُ شَرٌّ مِنْ أَخِيهِ. فكيف أهل الحارة طراً؟ قال: وَيَلِيّ إِنَّهُمْ كَانُوا كُلَّهُمْ عَلَيَّ شَرًّا، ولم أجد منهم إلا ضراً. فكيف أهل المدن والأمصار! قال: وَيَلِيّ إِنَّهُمْ أُولُو غِبْنٍ وَغَشٍّ وَتَغْرِيرٍ وَإِخْفَارٍ، ما تعامل منهم من أحد إلا ويمنيك بالكمد والنكد والخسار. هذه حالة سكان البلاد، الحاضر منهم والباد، فلا تكثرن من السؤال، ولا يخطرن ببالك غير هذه الحال. فإن شئت قلت له: ولكن كيف اشتملت بلادكم على تلك المحاسن، وأهلها على هذه المساويء الشوائب؟ قال: إن أهلها الأولين كانوا من الخيرين، فحرثوها وزرعوها، وعمروها وأمرعوها، ثم فسد الزمان فجاءت خلفاتهم فاسدة، لكن بقيت تلك المحاسن فيها فائدة. ولكن ما معنى الزمان؟ وهولم يكن صالحاً قط منذ خلق الإنسان، والتواريخ على ذلك شاهدة، ونصوصها عليه متساندة متعاضدة. ثم فكيف فسدت الناس وأنت بقيت من بينهم صالحاً، ترى كل من سواك صالحاً، ولو كنت من الصالحين، لما رأيت في غيرك خلقاً يشين. وإنما ينظر في عيوب الناس من كان أسوأ منهم حالاً. ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالاً كذلك قال الشاعر الحكيم: فما أنت في طعنك على جنسك إلا مليم. وإن أمراً يحسب جميع أهل بلاده دونه، لجدير بأن يشيعوا فتونه ويذيعوا جنونه.

٩١ - بطرس البستاني

١٨١٩ - ١٨٨٣ م

١٢٣٤ - ١٣٠٠ هـ

نشأته وحياته:

ولد العالم الضليع واللغوي المحقق بطرس بن بولس البستاني الماروني بقريّة من قرى لبنان تسمى الدبية على عهد الأمير بشير. ثم أدخل مدرسة عين ورقة فلبث فيها عشر سنين تعلم أثنائها العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية، وتفقه في الفلسفة واللاهوت

(٩١) انظر ترجمته في: الجامع المفصل في تاريخ الموارنة: ص ٥٣١، وآداب زيدان: ٢٩٧/٤، وأعيان البيان: ص ٢٠٥، وأعلام اللبنانيين: ص ١٠٥، وانظر الأعلام للزركلي: ٥٨/٢.

والفقه، وتبحر في التاريخ والجغرافية والحساب؛ ووقع في نفسه أن يخدم الكنيسة، ولكن بدا له فأحجم وأنصرف إلى التعليم. ثم وفد إلى بيروت وأتصل بدعاة المذهب الإنجيلي من الأمريكان فدرس على بعض أساتذتهم الإنجليزية والعبرية واليونانية وبعض العلوم الحديثة، ثم دخل في نحلتههم ودعا بدعوتهم وساعدهم على ترجمة التوراة. ثم أنشأ في سنة ١٨٦٣ مدرسة عالية سماها (المدرسة الوطنية) نالت بحسن إدارته وعظيم عنايته شهرة مستفيضة، فتقاطر إليها الناس من الشام ومصر والأستانة واليونان والعراق. ثم تخلى عن رياستها لابنه سليم البستاني وتفرغ هو للمطالعة والكتابة والتأليف، ففرغ في عام ١٨٦٩ من تأليف معجمه المحيط. وفي سنة ١٨٨٠ أنشأ مجلة علمية أدبية سياسية دعاها الجنان وعهد بإدارتها وكتابتها إلى ابنه سليم؛ ثم عززها بعد بصحيفة الجنة وجريدة الجنية. وشرع بعد ذلك في وضع (دائرة المعارف) وهو عمل خطير يُعجز الفرد وينوء بالجماعة في قبيل كقبيلة وجيل كجيله. ولكن حذقه لأشهر اللغات، وأعتصامه بالصبر والثبات، ذللاً له العقاب وسهلاً عليه الصعاب، فأصدر منها ستة مجلدات. ونزل به موت الفجاءة وهو يعمل في السابع فقام به من بعده بنوه وفقد الشرق بموته ركناً من أركان نهضته وعلماً من أعلام هده.

علمه وفضله :

نبغ البستاني في عصر فشت فيه الجهالة وغشى الناس الظلام فحمل المصباح وأنار الطريق، ونصب نفسه للهداية والدعاية فألف الكتب، وأصدر الصحف، وأنشأ المدارس، وملاً حياته النافعة بجليل الآثار وخطير الأعمال، وفي ذلك دليل على نفس عبقرية وعزيمة فنية وإرادة قوية. فمن تلك الآثار الخالدة: محيط المحيط وهو معجم لغوي على النمط الحديث أستوعب فيه قاموس الفيروزآبادي وصحاح الجوهري ورتبه على حروف المعجم بأعتبار الحرف الأول من الثلاثي المجرد، وجمع فيه كثيراً من الكلمات العامية وما يقابلها من اللغة الفصيحة، وكشف عن أصول كثيرة من الكلمات الأعجمية التي لم تعرف من قبل، ووضع طائفة من المصطلحات للعلوم الحديثة. وقد أستخرج منه لطلاب المدارس مختصراً سماه قطر المحيط. ومنها دائرة المعارف، وقد أصدر منها كما علمت ستة مجلدات وأتم ابنه سليم السابع والثامن وقضى نحبه في التاسع، فأتمه بنوه الباقون بمعونة ابن عمهم سليمان البستاني مترجم الألياذة، ثم وقف عملهم عند ذلك. فلما وفد إلى القاهرة سليمان البستاني أراد أن يتم هذا العمل الجليل فأصدر هو ورجلان من بني عمومته الجزأين العاشر والحادي عشر، ثم حال نقص الأداة دون التمام.

وللبستاني غير هذين الأثرين العظيمين كشف الحجاب في علم الحساب، ومفتاح المصباح في الصرف والنحو، وعدد عديد من المقالات والرسائل.

٩٢ - إبراهيم اليازجي
١٨٤٧ - ١٩٠٦ م
١٢٦٢ - ١٣٢٣ هـ

نشأته وحياته :

وُلد العلامة اللغوي الناقد الكاتب الشيخ إبراهيم بن ناصيف اليازجي ببيروت عام ١٨٤٧ م في بيت معمور بالفضل، مشهور بالأدب، وتلقى العلم عن أبيه الشيخ ناصيف عميد الأسرة اليازجية. ثم عكف علي كتب اللغة والأدب، فأتقن علوم اللسان، وعرف مطارح الإساءة والإحسان، وحفظ كثيراً من جيد المثنون والمنظوم. ثم قام بتدريس اللغة العربية في المدرسة البطريركية. حتى إذا قام الآباء اليسوعيون على ترجمة التوراة منافسة للترجمة الأمريكية التي قام بها المرسلون الأمريكيون عهدوا إليه بضبط ألفاظها وتنقيح عباراتها ففضى في هذا العمل تسع سنين كان في أثناءها يعالج النظم والنثر والبحث والنقد، وينشر ما يريد من ذلك في المجلات التي شارك في تحريرها كالمصباح والطبيب في بيروت. ثم هاجر إلى القاهرة في عام ١٨٩٤ م، وأنشأ مجلة البيان سنة ١٨٩٧ مع الدكتور بشارة زلزل. ثم استقل بمجلة أخرى دعاها (الضياء) وظل يصدرها إلى أن انتقل إلى دار القرار سنة ١٩٠٦.

أدبه وعلمه :

كان الشيخ إبراهيم عليمًا بأسرار العربية، عارفاً بمفرداتها وفرائدها، حافظاً لنوادرها وشواردها، واقفاً على صحيحها وفاسدها. فكان يتعقب الكتاب والشعراء في مجلتيه البيان والضياء، يدلهم على الخطأ ويرشدهم إلى الصواب، وكثيراً ما كان يحتدم الجدل بينه في الضياء وبين الشنقيطي في مصباح الشرق، لتحرير لفظة، أو تصحيح رواية، أو تنقيح نص: وبفضل هذا التعقب شعر الأدباء بمراقبة النقد فأخذوا أنفسهم بالتدقيق والتروية والمراجعة. واستفاد المعلمون مما أحصاه من الأخطاء الشائعة في لغة الصحف والكتب، فأشاعوا تصويبها في مؤلفات الأساتذة وكراسات التلاميذ. ورأى اليازجي محصول المنشئين والصحفيين من اللغة قليلاً فأختار لهم طائفة من التعابير البليغة المأثورة في كتاب سماه (نجمة الرائد في المترادف والمتوارد) كما جمع ما أحصاه من الأغاليط المتداولة على ألسنة

(٩٢) انظر ترجمته في: أعلام اللبنانيين: ص ١٢١، وتاريخ الصحافة العربية: ٨٨/٢، ومعجم المطبوعات سنة ١٩٢٧، ونبذة تاريخية: ص ٥٥، والأعلام للزركلي: ٧٦/١ - ٧٧.

الأدباء في كتاب سماه (لغة الجرائد). والشيخ إبراهيم بعد ذلك طويل الباع في الصناعتين، له شعر جزل محكم، ونثر مطبوع رائق.

نموذج من كلامه:

كتب يعزي بعض أصدقائه:

من علم أن القضاء واقع، وأن الأعمار رهائن المصارع، فلم يصحب دهره على غرة، ولم يفتر من الأقدار بفترة؛ لم تكبر عليه الرزية إذا اغتالت، ولم يطمئن إلى السلامة وإن طالت، فإن للدهر رقدة وهبة، وإن الليالي كمنة ووثية. ومثلك من أدرك مبادئ الأمور ومصايرها، وعرف موارد الحياة ومصادرها، وإنما الموت طور من أطوار الوجود، وآخر أعمال الحياة في الوجود. ولا أزيدك علماً بالكون وشرائعه؛ والكائن وطبائعه، إنما هي ذكرى لمن فجأه الرزء فشغله، وحل بساحته القضاء فأذهله. وحسي من التعزية علمي بما عندك من موارد العلم المتاح، ومن التأسيية ما تعلمه من حال مخاطبك وهو سائل الجراح. وما أخلقني بأن أقول: إن رزءك هذا قد زادني شجناً على أشجاني، ونكأ ما تماثل من فرحة أحزاني. ولكنني قد صيرني الدهر إلى حال، لا تعمل فيها حال، ولا أبالي معها بسلم ولا قتال؛ فكأنما إياي عنى أبو الطيب حيث قال:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

٩٣ - حمزة فتح الله

١٨٤٩ - ١٩١٨ م

١٢٦٥ - ١٣٣٦ هـ

نشأته وحياته:

ولد الأستاذ اللغوي الشيخ حمزة فتح الله بالاسكندرية عام ١٨٤٩ ونشأ بها نشأة الأوساط، فحفظ القرآن ودرس العلوم الشرعية واللسانية، ثم عزم الرحلة إلى تونس فلبث فيها بضع سنين حرر في أثنائها جريدة الرائد التونسي. ثم عاد إلى الإسكندرية وأتصل بالخبير توفيق، فأوحى إليه أن يحرق جريدة الاعتدال عام الثورة العرابية ذيادةً عن عرشه وتأييداً لسياسته، فما حال عليها الحول.

(٩٣) انظر ترجمته في: الوجيز في تاريخ الأدب العربي: ص ١٤٥، والكنز الثمين: ١/١٦٥، والأعلام للزركلي: ٢/٢٨٠.

وفي سنة ١٨٨٦ مثل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في فينا كما مثلها مرة أخرى في هذا المؤتمر نفسه حين اجتمع في استوكهولم سنة ١٨٨٩. ثم رأى أن يزاول التعليم بعد الصحافة فعين عام ١٨٨٨ مدرساً بمدرسة الألسن فدار العلوم. ثم أنتقل إلى التفيتش فمكث به إلى أن أحيل على المعاش سنة ١٩١٢ م فعكف على البحث والقراءة حتى وافاه أجله في إبريل من سنة ١٩١٨ م وقد كف بصره.

أخلاقه وعلمه :

كان رحمه الله سليم الصدر، كريم الخلق، غيوراً على اللغة، ولوعاً بالأدب مغرماً بالبحث، فسرت هذه الصفات إلى أكثر تلاميذه، فرفعوا شأن اللغة، وأحيوا موات الأدب. ألّف كتاب (المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية) أثناء تدريسه بدار العلوم. ثم كانت له اليد الطولى في تنقيح كتب الدراسة بالمعارف.

عالج النظم على طريقة المتقدمين، والنثر على طريقة المتأخرين، فكان وسطاً في الحالين، كما يتضح لك ذلك من هذين النموذجين :

نموذج من كلامه :

خير ما أثر عنه من الشعر قصيدة أنشدها في مؤتمر المستشرقين يقول في مطلعها :
حَمْدُ السُّرى يا أخيَّ العود والناب أنساك وعشاء إغباب وإخباب
ومنها في الحكم :

ومن يُرد نيل مجد وهو في دعة فقد بغى من صفاة درّ أحلاب
والمراء في موطن كالدرد في صدف والتبر في معدن والنبع في غاب
والسيف مثل العصا إن كان مغمداً وزامر الحي لا يحظى بإطراب
وأزهد الناس في علم وصاحبه أدنى الأحبة من أهل وأصحاب

وكتب إلى السيد عبد الحميد البكري معترداً :

مولاي : أما الشوق إلى رؤيتك فشديد، وسل فؤادك عن صديق حميم، وود صميم، وخُلّة لا يزيداها تعاقب الملوّين، وتألّق النيرين، إلّا ونوقاً في العُرا، وإحكاماً في البناء، ونماء في الغراس، وتشبيداً في الدعائم. ولا يظنن سيدي أن عدم ازدياري ساحتها الشريفة، وأجتلائي طلعتها المنيفة، لتقاعس أو تقصير، فإن لي في ذلك معذرة أقتضت التأخير والسيد أطال الله بقاءه أجدر من قبل معذرة صديقه، وأغضى عن ريث استدعته الضرورة. وبعد فرجائي من مقامكم السامي ألا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم عن زيارتي فكم منة طوقتمونيها، ولكم فيها قول البداءة وعليّ دوام الشكران والسلام.

الخطابة والخطباء

ظلت الخطابة في أول هذا العصر على ما كانت عليه في آخر العصر العباسي لا تتعدى الجوامع والبيع، ولا يقوم بها إلا فئة جاهلة ناقلة. فلما دعا داعي الثورة العرابية ظهرت الخطابة السياسية على ألسنة زعمائها، وأشهرهم السيد عبد الله نديم والشيخ محمد عبده وأديب إسحق واللقاني. ثم مرّ عليها كثير من الوعاظ والأدباء وأقاموا المجمع الأسبوعية للخطابة في الأخلاق والدين والاجتماع والسياسة. ولكن الخطابة لم تجلّ عنها أعقاب العلة المزمّنة إلا في عهد الزعيم الوطني الكبير مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٩٠٨ م، فقد كانت له أمضى سلاح في جهاده. وأقوى معين في إيقاظ بلاده. ومنذ قيامه بالدعوة الوطنية، ونهوضه بالحركة الاستقلالية، أخذ شباننا ولا سيما المحامين يتدربون عليها حتى نبغ منهم الآن طائفة صالحة. ولعل الشرق لم يشهد في عصر من عصوره خطيباً حافل القريحة، قوي العارضة، جهوري الصوت، قبل المغفور له سعد باشا زغلول. وإنا لتتوقع للخطابة في عهد نظامنا الدستوري رقيّاً سريعاً؛ فإن الحرية السياسية، والمنافسات الحزبية، والمناقشات البرلمانية، من أبلغ العوامل أثراً في رقي الخطابة. ولولاها ما كان ديمستين في اليونان، ولا شيشرون في الرومان، ولا عليّ في العرب.

٩٤ - عبد الله نديم

١٨٤٥ - ١٨٩٦ م

١٢٦٠ - ١٣١٣ هـ

نشأته وحياته :

ولد السيد عبد الله بن مصباح بن إبراهيم في الاسكندرية، ونشأ بها نشأة الأوسياط فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن في الكتابة وهو يومئذ في المدرسة الأولى لأبناء الشعب. ولما أيفع دخل معهد الاسكندرية في جامع الشيخ فأدرك قسطاً موفوراً من علوم الدين واللسان. وطغى ميله الأدبي على ميوله الأخرى فحفظ الأشعار وروى الأخبار وعالج النظم والنثر. ثم داخل العلماء وطارح الأدباء حتى شغله عن العكوف على الدرس. وأعجله طلب الرزق عن متابعة الطلب في المعهد فأنصرف عنه إلى تعلم فن البرق (التلغراف) فتعلمه وتكسب عن طريقه حيناً من الدهر في (تلغرافات الحكومة)؛ ثم فصل عن هذا العمل

(٩٤) انظر ترجمته في: أدب الشعب: ص ١١٣، وزعماء الإصلاح: ص ٢٠٢، ونزهة الألباب: ص ١٧٩، والكافي لشاروبيم: ٤/٢٣٩ و ٤٨٦، وانظر الأعلام للزركلي: ٤/١٣٨.

فتعاطى التجارة في مدينة المنصورة فلم تربح تجارتها ولم يسلم رأس ماله فعاد إلى الاسكندرية وكان أولو الفضل قد أسسوا في ذلك الحين جمعية إسلامية خيرية لإنشاء المدارس للبنين والبنات فشارك النديم في هذا العمل وتولى نظارة المدرسة الأولى لهذه الجمعية. وأمدته الحكومة بالمكان والمال على ألا تكون مقصورة على المسلمين؛ ثم جعلها الخديو توفيق تحت رعايته. وكانت هذه الجمعية من المحارِب السياسية والاجتماعية يجتمع فيها الناس ليلاً ليسمعوا الخطب في مختلف الشؤون من أمثال عبد الله نديم، وأحمد سمير، وأديب إسحق، وإبراهيم اللقاني.

ثم ألف السيد عبد الله رواية تمثيلية عنوانها (مصر وطالع التوفيق) مثلها طلاب هذه المدرسة، كان مغزاهما الأسي على تفهقر مصر وتحكم الأجنبي بها. ثم أخذت آراء الأفغاني تهفو بالنفوس وتعصف بالرؤوس، فُشغل النديم عن الجمعية والمدرسة وأنشأ جريدة (التنكيث والتبكيث) وهي أسبوعية كانت تلبس الجذ ثوب الهزل. ثم استبدل بها (الطائف) فكانت بوقاً من أبواق الثورة العراقية، وميداناً من ميادين الحركة الوطنية وكان هو خطيب الثورة الصارم اللسان الجريء الجنان القومي الأثر. ولما خبت نارها وقُبض مشعلوها اختفى عبد الله نديم عشر سنين قضاهما متنكراً في كل زي، متنقلاً في كل بلد، حتى قبض عليه فحبس أياماً وعفا عنه الخديو على أن يخرج من مصر إلى حيث شاء. فأقام في فلسطين حقة من الزمن عاد بعدها إلى القاهرة مطلق السراح، فأنشأ بها مجلة أدبية سماها (الأستاذ) انتشرت في مختلف البيئات والجهات انتشاراً عجبياً أقض مضاجع الحكومة فنتهه مرة أخرى من البلاد. فرحل إلى الأستانة ونفق عند السلطان فعين مفتشاً للمطبوعات في الباب العالي وظل في منصبه إلى أن قبضه الله إليه.

أخلاقه ومواهبه:

كان السيد عبد الله نديم خطيباً موهوباً ذلق اللسان، فصيح العبارة، حاضر البديهة، سريع النكتة، شديد التهكم، عاضه الله من قلة العلم وضيق الاطلاع سلامة الطبع في الأدب وسماحة القريحة في الكتابة وغزارة البحر في الخطابة ثم تقلبت به الأحوال السياسية والاجتماعية فأتصلت أسبابه برجال الحكم، وطال اختلاطه بقيادة الشعب، وكثر اضطرابه في مختلف الأرض. وتخلل طبقات الناس فبلا أخلاقهم وسبر أهواءهم. وكان لذلك كله أثر بالغ في علمه بمخبات الضمائر، ومقتضيات الأحوال، وأخذ به أمانة الكلام يصرفه في أي معنى شاء، حتى قال فيه السيد جمال الدين الأفغاني: «ما رأيت طول حياتي مثل النديم في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعاً محكماً بإزاء معانيها إذا خطب أو كتب».

نموذج من كلامه :

قال من رسالة له عمده فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من القرآن :
لا حول ولا قوة إلا بالله، اشتبه المراقب باللاه، واستبدل الحلوى بالمر، وقدم الرقيق
على الحر، وبيع الدر بالخزف والخز بالخشف، وأظهر كل لثيم كبره، إن في ذلك لعبرة.
سمعاً سمعاً، فالوشاة إن سعوا لا يعقلوا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فكيف تشترون
منهم القار في صفة العنبر، و﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾.
عجيب لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون.
وأنا يا عزيز العلياء، ووحيد الدنيا، قد بينت لك فعلهم، ﴿فيما رحمة من الله لنت لهم﴾
ولكنهم طمعوا في عميم طولك، ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

٩٥ - مصطفى كامل

١٨٧٤ - ١٩٠٨ م

١٢٩٠ - ١٣٢٥ هـ

نشأته وحياته :

ولد زعيم النهضة المصرية وموقف الروح الوطنية، مصطفى كامل بالقاهرة
سنة ١٨٧٤ م في بيت اشتهر بكرم الأصل وعفة النفس وصحة الدين، ثم تلقى دروسه
لابتدائية والثانوية في المدارس المصرية، ثم دخل مدرسة الحقوق فنال إجازتها وسنه لم
تجاوز التاسعة عشرة. وكان في أثناء الطلب قد اشتهر بين الطلاب والكتاب بقوته في الكتابة
بقدرته على الخطابة، فنشر كثيراً من المقالات السياسية في صحيفتي الأهرام والمؤيد،
وأصدر مجلة أدبية شهرية سماها (مجلة المدرسة) أشرفت فيها نفسه الكريمة إشراق النفس
لزعيمه، فتهافت على ضوئه طلاب المدارس العليا يؤيدون دعوته ويرددون كلمته ويترسمون
خطاه. ولما نال شهادة الحقوق لم يتجه إلى العمل في القضاء ولا في المحاماة، وإنما اتجه
لخدمة وطنه من طريق السياسة والصحافة، فسافر إلى أوروبا مراراً يدعو إلى مصر بالكتابة
في صحفها والخطابة في محافلها. وداخل رجال السياسة في فرنسا وانجلترا يستمد منهم
لتوجيه والعون، ومن هؤلاء أمه الروحية السيدة جوليت آدم الفرنسية التي يقول لها في
بعض رسائله: «إنني لا أزال صغيراً، ولكن لي آملاً كبيراً. أريد أن أوقف في مصر الشيخة

٩٥٠) انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية: ١/١٦٧، وتراجم مشاهير الشرق: ١/٣١٠، ورواد النهضة
الحديثة: ص ٢٠٦، ومعجم المطبوعات: ١٧٥٤، وانظر الأعلام للزركلي: ٧/٢٣٨ - ٢٣٩.

مصر الفتاة. هم يقولون إن وطني لا وجود له، وأنا أقول إنه موجود بدليل ما أشعر له في نفسي من الحب الشديد الذي سيتغلب على كل حب سواه».

ثم أنشأ (اللواء) في ثلاث نسخ: بالعربية والإنجليزية والفرنسية، فدافع بها عن بلاده، وجاهد في سبيل حريتها حق جهاده، حتى أدرك، هو في طرأة الشباب زعامة الأمة وثقة العرش ورضا الخلافة وخصومة المحتل. وكان في مقدوره إذا شاء أن يستغل هذه القوى العظيمة في سبيل الثراء والحكم، ولكنه زهد في ذلك كله زهادة الحكيم، فعاش للمبدأ والفكرة، ومات للقدوة والعبارة. ولما بلغ هذا الجهاد المتصل وهذا الجهد المرهق من جسده الناحل أُلّف (الحزب الوطني) ليحمل عنه الأمانة ويبلغ بعده الرسالة؛ ولكن المنية لم تمهله بعد ذلك إلا أياماً فأحترمه رضي الله عنه وهو دون السابعة والثلاثين من عمره.

مصطفى كامل الخطيب:

كان مصطفى كامل خطيباً طلق البديهة، رائق المنطق. نديّ الصوت، عذب النبرة، أنيق اللهجة، لا يتلصق ولا يلحن ولا يتلثم. وكان كاتباً حلو اللفظ رقيق الأسلوب، قوي الروح، صادق الفكرة، نبيل الغرض، وبهذه المزايا الموهوبة والمكسوبة، استطاع أن يحيي الموات، ويجمع الشتات، وينعش خمود الشعب بالأمال المطمعة، ويقارع طغيان المحتل بالحجج الملزمة.

نموذج من خطبه:

قال في خطبة له ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر من سنة ١٩٠١:

بلادي! بلادي! لك حبي وفؤادي، لك حياتي ووجودي، لك دمي ونفسي! لك عقلي ولساني، لك لبي وجناني، فأنت أنت الحياة، ولا حياة إلا بك يا مصر! يقول الجهلاء والفقراء في الإدراك إنني متهور في حبها! وهل يستطيع مصري ألا يتهور في حب مصر؟ إنه مهما أحبها، فلا يبلغ الدرجة التي يدعو إليها جمالها وجلالها وتاريخها والعظمة اللائقة بها.

ألا أيها اللاتمون! انظروها وتأملوها، وطوفوها، واقرأ صحف ماضيها، واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض: هل خلق الله وطناً أعلى مقاماً، وأسمى شأنًا، وأجمل طبيعة، وأجل آثاراً، وأغنى تربة، وأصفى سماء، وأعذب ماء، وأدعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز؟

اسألوا العالم كله يجبكم بصوت واحد: إن مصر جنة الدنيا، وإن شعبها الذي يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب إذا أعزها، وأكبرها جناية عليها وعلى نفسه إذا تسامح في حقها، وسلم أزمتهما للأجنبي:

إني لو لم أولد مصرياً لوددت أن أكون مصرياً!

٩٦ - سعد زغلول

١٨٥٧ - ١٩٢٧ م

١٢٧٣ - ١٣٤٥ هـ

نشأته وحياته :

ولد سعد زغلول في (إببانة) من أعمال مديرية الغربية وتلقى في كتاب القرية مبادئ الثقافة العامة وأولها حفظ القرآن الكريم؛ ثم أرسله أبوه إلى الأزهر فدرس علوم الدين واللغة والمنطق ثم صارت له في الجدل والمناظرة شهرة. واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني حين هبط مصر فلزمه وأخذ عنه وتأثر به. وكان سعد بفطرته مجبولاً على مناصرة الحق ومجاهدة الباطل ومحاربة النقص. عين بعد أن ترك الأزهر محرراً في الوقائع المصرية مع أستاذه الإمام فكان يكتب في الاستبداد والشورى والأخلاق، وينتقد الأحكام التي كانت تصدرها يومئذ (المجالس الملغاة) ثم عين ناظراً لقلم قضايا الجيزة، وكان حكمه حكم القاضي الجزئي فنزل الحق من عدله وعقله في حمى أمين. ثم أصغى لفضية الحق في الثورة العراقية ففصل من وظيفته وسجن في (الضبطية) سبعة أشهر. ولما أطلق من سجنه زاول المحاماة، ولم يكن يشترط في مزاولتها حينئذ إلا أداة امتحان في المحكمة فكان أول محام أقرته المحاكم الأهلية في مصر.

ثم اختير نائب قاض في محكمة الاستئناف. ويومئذ درس الفرنسية ونال إجازة الحقوق، فبرع القضاة الأوروبيين بالذهن الغواص والدرس المحيط والاستنباط الدقيق والحكم الموفق. وفي سنة ١٩٠٦ م عين ناظراً للمعارف العمومية وكانت العلوم كلها تدرس في اللغة الإنجليزية فجعلها تدرس في اللغة العربية، وكان من ذلك أن ترجمت العلوم وألفت الكتب وانتعشت الثقافة. ثم عين ناظراً (للحقانية) فجد في إصلاح نظم القضاء وتنقيح مواد القوانين لتلائم العصر وتسد الحاجة. ثم أقيل من الوزارة فانتخبته الأمة نائباً عنها في (الجمعية التشريعية) فكان بحججه الملزمة وأجوبته المفحمة رهبة الوزراء ودهشة النواب ومنتج الأفتدة.

ولما أعلنت الهدنة في الحرب العالمية الأولى ووضعت قضية العالم كله على مكاتب الغالبيين في (فرساي) تحركت مصر للمطالبة بحقوقها في تقرير مصيرها ووكلت عنها وفداً يقدم مطالبها ويحقق رغائبها برياسة سعد باشا زغلول، فنفته السلطة العسكرية الإنجليزية في نفر

(٩٦) انظر ترجمته في: المجلد في التاريخ المصري: ص ٤٢١ - ٤٢٦، ومراة العصر: ١٠٠/٢، والأعلام الشرقية: ١/١٣٩، وانظر الأعلام للزركلي: ٨٣/٣.

من صحبه إلى جزيرة مالطة، فثار الشعب المصري ثورته المعروفة سنة ١٩١٩. وكان من آثارها أن أطلق المعتقلون وخلق بينهم وبين مؤتمر الصلح في باريس.

وفي سنة ١٩٢٠ دعت الحكومة البريطانية إلى لندن لتفاوضه الرأي في المطالب المصرية فشحخص إليها مع بعض أعضاء الوفد. ولكن المفاوضات لم تسفر عن تحقيق الأمانى القومية فقطعها وعاد إلى مصر فقابلته الأمة بمقابلة الفاتح الظافر. وأستأنف الجهاد على الخطة التي رسمها فأقضى مضاجع الانجليز فنوه مرة أخرى إلى جزيرة سيشل مع نفر من أصحابه فلبثوا فيها مدة، ثم نقل هو إلى جبل طارق. وأطلق سراحهم جميعاً بعد ذلك، فشحخص سعد باشا إلى فرنسا من فوره فظل فيها حيناً ثم ارتد إلى مصر. وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت من جانبها تصريح ٢٨ فبراير من سنة ١٩٢٢ بتحفظاته الأربعة، فأعلن الملك فؤاد الأول استقلال البلاد وأصدر الدستور في سنة ١٩٢٣. وأسفر الانتخاب عن فوز الوفد بالكثرة فتولى سعد رئاسة الوزارة في أوائل سنة ١٩٢٤ م، ثم اعتزلها من السنة نفسها وتولى رئاسة مجلس النواب وظل فيها حتى اختار الله له ما عنده.

منزلته في الخطابة:

لم ير التاريخ المصري، بل الشرقي، قبل سعد خطيباً، بلبل اللسان، زفيق الصوت، حافل البديهة، دامغ الحجّة، أنيق اللهجة، رائع البيان، حسن السمّت، يزواج بين المنطق والشعر، ويعاقب بين الإقناع والإمتاع، ويرواح بين الجد والهزل، ويتصرف في فنون القول تصرف الشاعر برقة الأسلوب، والفيلسوف بدقة الفكر، والموسيقي بجمال الإيقاع.

ذلك لأن سعداً كان رجل جلاّد وجدل. تمرس منذ الحداثة بشدائد الحياة ومكاره العمل، وراض نفسه منذ الدراسة على أدبيّ اللسان والقلم، وتنفس به العمر في ميادين الحق. فتكملت عبقريته الموهوبة بالمعرفة، وثقفت بالتجربة، وتقوت بالمرانة، حتى كان منه ذلك الخطيب المرتجل الذي يهضب بالكلام أربع ساعات متواليات، لا يتلكأ، ولا يتلجلج، ولا يتكثر باللغو، ولا يستعين بالتركرار، ولا يطرد نشاط السامع. وكان مع ذلك يخطب كما يكتب، ويكتب كما يخطب، متوخياً في الأمرين براعة التفكير، وبلاغة الأداء، وجمال الأخيلة وابتكار التعابير، وصحة الأقيسة، وقوة الأدلة.

نموذج من شعره:

وجه رحمه الله هذا النداء إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر في صدر سنة ١٩٢١ م:

رحبت الأمة بعودة نوابها ترحيباً فاق كل ترحيب، وأعجز وصف كل كاتب وخطيب، فقد أتى أفرادها من كل ناحية بدافع من ضمائرهم النيرة، وباعث من شعورهم الحي،

ترتعش أعصابهم حماسة، وتخفق قلوبهم بالوطنية الصادقة، للالتفاف حول من اتخذوهم رمز أمانهم، وعنوان مبادئهم. ولقد رأيت آيات الحكمة والكرامة والثبات تتجلى فيما استقبلنا من مظاهر الفرح الباهر - تلك الصفات التي تضمن للشعوب تقدمها وللأمم سعادتها، وشعرت من قبلات الترحيب التي غمرونا بها بحرارة قلب يخفق في جسم شعب عظيم. وقد اشترك الأموات والأحياء في أن يملوا على المجموع وكل فرد واجبه نحو الوطن العزيز، وأجمع الكل على مطالبتنا بمواصلة السير في الطريق الذي سنّه الحق القويم. وإن الشرف والكرامة والإخلاص لوطننا المقدس لماً يوجب علينا طاعة هذا الأمر الكريم، والتزام هذا الطريق المستقيم.

إننا نشكر البلاد جميعها، قريبتها وبعيدها، على حلة الثقة التي زينتنا بها، ونقسم بالوطن وشعائره المقدسة - وشاركنا في هذا القسم العظيم أصحابنا المخلصون في جهادهم - إننا لا ندخر شيئاً من وسعنا لتحقيق هذه الثقة الغالية، ولا نتحول لحظة واحدة عن الغرض الذي وضعناه نصب عيوننا حتى نصل إليه.

إننا لم نعد إلا لنقوي بعزائم مواطنينا الكرام عزائمنا، ونشد أزرنا بآتحادهم المتين، ونتمتع بمرآهم بعد طول هذه الغيبة، ونؤكد من أن الاشتراك في المفاوضات الرسمية التي دعتنا الوزارة الجديدة له متفق مع المبادئ التي وضعتها الأمة، وعاهدناها على احترامها، ومع الخطة التي رسمتها وتعهدنا بمتابعتها. ولا شيء أحب إلى قلوبنا من أن نخدم بلادنا بالاتفاق مع كل هيئة مستعدة لأن تسترشد بإرادة الأمة، وعاملة على تحقيق غايتها السامية.

لم يبق علينا إلا أن يعود كل منا إلى عمله، ويقبل على شأنه، فالتلميذ إلى مدرسته، والفلاح إلى مزرعته، والصانع إلى مصنعه، والتاجر إلى متجره، والكاتب إلى مكتبه، والمرأة إلى إدارتها بيتها. وعلى الكل من غني وفقير أن يباشر عمله، مراقباً أعمالنا، وازعماً نصب عينيه المقصد الأسمى، وأن يعتقد أنه يزيد بما يعمل في كنوز الوطن كنزاً، ويضم إلى قواه قوة.

إلى العمل جميعاً، لنرفع منار الوطن، ونعلي كلمته، ولتحى مصر!

الفصل الخامس

الشعر

لم ينل الأدب من عناية الأمراء العلويين ما نال العلم. فظل الشعر - على ندرته - كما كان في العصر الماضي أسير التقليد والصنعة. ثم أدركته نفحة من الهبة العامة في عهد الخديو اسماعيل، فتردد ذكره على ألسنة شعرائه وندمائه، كالسيد علي أبي النصر والشيخ علي الليثي. وأخذت هذه الحركة تطرد بالإقبال على أمهات كتب الأدب الباقية، والرجوع إلى منابع الشعر الصافية. وكان البارودي أول من أقام عمود الشعر وجدد دارس القريض، فترسم خطى الفحول من شعراء العباسيين، وحاكاه الناشئون من شعراء العصر، وابتغوا الوسيلة إلى ذلك بحفظ المختار من أشعار الجاهليين والإسلاميين، فأخصبت القرائح، وأدركت السلائق، وصحت الأذواق، وجرى الشعر جزل اللفظ، محكم النسيج، متين القافية، مشرق المعاني، متخففاً من أثقال البديع وأوزار الصنعة ثم نزع الشعراء إلى الاستقلال والحرية والتجديد بتأثير الحضارة الأوروبية، وتعلم اللغات الأجنبية، ونشاط الحركة العلمية. وقصدوا إلى اكتناه النفوس وتحليل الأشخاص، وتعليل الأشياء، ومناجاة الطبيعة. وحاد أكثرهم عن الأساليب العتيقة كالاستهلال بمقدمة خارجة عن الموضوع في الغزل أو غيره تحتاج إلى تخلص؛ ونظروا إلى القصيدة كلها كأنها كائن حي تتساعد أجزاؤه على غرض معين؛ ونفروا من الأغراض القديمة كالمدح والفخر والهجاء والمجون، لتغير البيئة واختلاف التربية. وجرت ألسنتهم بالمعاني العامة، كرشاء مجد مفقود، وانقاد عيب موجود، وطلب استقلال منشود. ولكن تقدم الشعر في الجملة كان أبطاً من تقدم النثر، لأن الثقافة العلمية في مصر أسبق من الثقافة الأدبية، ولأن الشعر لا يزال من ضروب الكمال التي لا تعد في وسائل الكسب ولا في صميم الحياة.

ومما يملأ النفس أسفاً ودهشة أن شعراء اليوم مُنوا بالجمود والأذهان ثائرة، وأصيبوا بالأصغاء وأسباب القول وافرّة؛ فالشعب مضطرم الشعور نائر الفكر يجاهد في سبيل وجوده وحرية بدمه وماله، وهم قاعدون تحت الجُدُرِ يتشاءبون ويتمطّون على دفء الشمس تاركين الجيش من غير موسيقى! اللهم إلا صدحات من أمير الشعراء شوقي وشاعر النيل حافظ،

يرسلانها الحين بعد الحين فتجلو صدأ الخواطر، وتحيي مَوَات القلوب. فلما توفى الله في سنة ١٩٢٢ حافظاً وشوقي، وكان اسماهما علمين على الشعر في العهد الأخير، تسابقت القرائح الشابة إلى ملء مكانيهما، فنشط في مصر القريض، وتجاوبت الأفراخ النواهض بالأغاريد، وشرقت الصحف والمجلات بفيض هذه القرائح، ولكن أصواتها الناعمة الرخوة لم تملأ الأسماع ولم تطرد الوحشة. ولاحق في لبنان المهاجرة مواهب النبوغ ودلائل القيادة؛ ولكن البعد يبدد الصوت القوي، ولاغتراب يوهن الجهد الجهيد. والزمن الذي يمحص الأشياء فينفي البهرج الزائف، ويثبت الحق الصريح، هو الذي يعرف مكان هذه الجهود، من عالم الفناء أو من عالم الخلود.

الشعراء

٩٧ - محمود سامي البارودي

١٨٣٩ - ١٩٠٤ م

١٢٥٤ - ١٣٢١ هـ

نشأته وحياته:

هو ابن حسن بك حسني مدير دنقله وبربر على عهد محمد علي باشا. وُلد بالقاهرة رُشْبَل في نعمة أبيه. ولم يكد يحبو للسابعة حتى فجعته الموت فيه بدنقلة فُعني بتأديبه بعض أهله. وأدخلوه المدرسة الحربية فتعلم الفنون العسكرية وخرج منها ضابطاً. وكان وهو غض الحداثة مولعاً بحفظ الشعر وإنشاده. ولا نعلم مصدر هذا الميل فيه. فأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء العرب حتى شب فصيح اللسان، مطبوعاً على الإعراب دون علم بال نحو. ثم فاض ما حفظ على لسانه فانطلق برائق الشعر في الأغراض المختلفة وسافر إلى الأستانة فدرس اللغتين التركية والفارسية، وتضلع من آدابها حتى عدَّ من شعرائها. واتصل هناك بالخدو إسماعيل عام ١٢٧٩ هـ، فألحقه بحاشيته وعاد به إلى مصر، فتدرَّج في الرتب الحربية حتى سما سنة ١٢٩٤ هـ إلى (لواء). ورحل في أثناء ذلك إلى فرنسا وإنجلترا، فإزداد قوة في أدبه، وخبرة في فنّه. وكان أحد ضباط الحملة المصرية التي ساعدت الدولة العلية أثناء ثورة البلقان وإقريطش، فأبلى فيها بلاء حسناً. فلما عاد إلى مصر نقل إلى المناصب الإدارية فولّي مديراً للشرقية ثم رئيساً للضبطية. وفي عهد توفيق تقلد نظارة الأوقاف ووصل إلى رتبة (فريق) وتولى نظارة الجهادية قبيل الثورة العربية. ورأس النظارة

(٩٧) انظر ترجمته في: تراجم مشاهير الشرق: ٣٣٣/٢، وشعراؤنا الضباط: ص ١٧، وأعلام الجيش والبحرية: ١٨١/١، وتاريخ دولة المماليك بمصر لوليم موير: ص ١٩٧، وانظر الأعلام للزركلي:

بعد شريف باشا، فما لبث غير قليل حتى ثار نفع الثورة واستطار شرر الفتنة، وأكثرُ الناس على أن البارودي أول من فتح بابها وتدرَّع جلابيها، ولكن شعره يبرئه من ذلك كما سيحييء .

وسكنت الثورة باحتلال الإنجليز وادي النيل وقُبضَ على مثيري الفتنة وَحَكِمَ عليهم بالنفي إلى جزيرة سرنديب (سيلان) وفيهم الشاعر. فلبث في منفاه سبعة عشر عاماً وبعض عام تعلم في أثنائها اللغة الإنجليزية، ونظم بدائع شعره في العربية. ثم وسعته رحمة الخديو عباس الثاني فعفا عنه سنة ١٣٢٧ هـ ومنحه التمتع بالحقوق المدنية فلم يعيش بعدها إلا خمس سنين قضاهما في سكون الشيخوخة وادعاً قانعاً بين مطالعة الكتب، ومحادثة الصحب، ومعالجة القريض . وقد كف بصره قبيل موته .

شعره:

إن كان لإمرىء القيس فضل في تمهيد الشعر وتقصيده ولبشار في ترقيته وتجويده، فللبارودي كل الفضل في إحيائه وتجديده. وكان الشعر في عهده صورة مشوهة من آثار القرون الأخيرة المظلمة؛ نظمٌ مرتبك، وتكلف بادٍ، وصناعة فاشية، ومعنى سقيم، فجلاه في خاطره وصقله على لسانه، فجاء منضد اللفظ نقيّ المستشف. نقص البارودي شعر ابن المعتز وأبي فراس والرضيّ والطغرائي وأمثالهم من الفحول، فارتسم شعرهم على لوح قلبه، وانتقش في صفحة ذهنه؛ وصادف ذلك منه شعوراً فياضاً وذوقاً سليماً، فاستخرج من مجموع تلك الأساليب أسلوبه الرائق الفخم. لذلك تحس وأنت تقرأ قصيدة من نظمة أن أرواح أولئك الفحول تحوم حول روحه، وتحلق فوق أبياته .

ما كان البارودي مبتكر معان ولا مبتدع أساليب، ولكنه كان رائض فواف وصائغ قريض: قد كلفَ بالنعمة؛ وانصرف إلى الصنعة، فأثر المعنى الضئيل في اللفظ الجزل، على المعنى في اللفظ الغث، وقد أجاد وأبدع في الفخر والحماسة والوصف .

مؤلفاته:

له كتاب (مختارات البارودي) في أربعة أجزاء وهو مجموع ما اختاره لثلاثين شاعراً من شعراء العباسي في أغراض مختلفة. وقد نهج في اختياره طريقته في نظمه، فأثر حسن اللفظ والمعنى، وحسن اللفظ، على حسن المعنى وقح المبني، وله (ديوان شعر) في جزأين قد طبع في مصر.

نموذج من شعره:

قال في الحماسة والفخر:
ونقع كلُّج البحر خضت غماره ولا معقلٌ إلا المناصلُ والجُردُ

صبرت له والموت يحمر تارةً
فما كنت إلا الليث أنهضه الطوي
صؤول وللأبطال همس من الوني
فما مهجة إلا ورمحي ضميرها

وقال يرثي زوجته :

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي
يادهر فيم فجعنتني بحليلة
إن كنت لم ترحم ضناني لبُعدها
ومن البلية أن يُسام أخو الأسي
هيهات بعدك أن تقر جوانحي
ولهي عليك مُصاحب لمسيرتي
فإذا انتهيت فأنت أول ذكرتي

وقال من قصيدة أخرى يتشوق :

ردوا عليّ الصبي من عصري الخالي
من يذر من بات مسروراً بلذته
يا غاضبين علينا هل إلى عِدَّة
غبتم فأظلم يومي بعد فُرقتكم
فاليوم لآرسنِي طوعُ القياد ولا
أبيت منفرداً في رأس شاهقة
وقال يخاطب مؤججي الثورة العرابية :

نصحت قومي : قلت الحرب مفجعة
فحالفوني وشبوها مكابرة
تأتي الأمور على ما ليس في خلدٍ
حتى إذا لم يعد في الأمر منزعّة
أجبت إذ هتفوا باسمي ومن شيمي

وينغلُ طوراً في العجاج فيسودُ
وما كنت إلا السيف فارقه الغمد
ضروب وقلبُ القرين في صدره يعدو
ولا لبّة إلا وسيفي لها عقد

تقوى على ردّ الحبيب الغادي
كانت خلاصة عدّتي وعتادي؟
أفلا رحمت من الأسي أولادي؟
رعيّ التجلّد وهو غيرُ جماد
أسفاً لبُعدهك أو يلين مهادي
والدمع فيك مُلازم لوسادي
وإذا أويت فأنت آخرُ زادي

هل يعود سوادُ اللّمة البالي!
أنّي بنار الأسي من هجره صالي
بالوصل يوم أناغي فيه إقبالي؟
وساء صنعُ الليالي بعد إجمالي
قلبي إلى زهرة الدنيا بميال
مثل القطامي فوق المرّبأ العالي

وربما تاج أمر غير مظنون
وكبان أولى بقومي لو أطاعون
ويخطيء الظن في بعض الأحايين
وأصبح الشرّ أمراً غير مكنون
صدق الولاء وتحقيق الأظنانين

وقال من قصيدة بعد عودته من المنفى ، ومروره بقصر الجزيرة فنذكر عهد إسماعيل :

هيهات قد ذهب المتبوع والتبع
ينأى به الخوف أو يدنوه الطمع
للملك منها لو فد العزم مرتبع
ولا سميع إذا ناديت يستمع

هل بالحمى عن سرير الملك من يزع
هذي الجزيرة فانظر هل ترى أحداً
أضحّت خلاء وكانت قبل منزلة
فلا مجيب يرد القول عن نبأ

ومنها:

زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم ولا تعطلت الأعياد والجمع
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر وإنما صفوه بين الورى لمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه ما شاب أخلاقه حرص ولا طمع

٩٨ - إسماعيل صبري

١٨٥٤ - ١٩٢٣ م

١٢٧٠ - ١٣٤١ هـ

نشأته وحياته:

ولد هذا الشاعر الفنان ودرج على ضفاف النيل، وشب في عهد إسماعيل عهد الحضارة والعمارة والأدب، فأدخل المدارس النظامية الحديثة، وتنقل في مدارجها من (المبتديان) إلى (التجهيزية) إلى (مدرسة الإدارة) حتى شارف الثامنة عشرة من عمره، وكانت بواكير النهضة الأدبية قد بدت في (روضة المدارس) وهي مجلة للطلاب ينشئها صفوة الكتاب في ذلك العهد كرفاعة بك، والشيخ حسين المرصفي أستاذ البارودي، وعبد الله فكري، وصالح مجدي؛ وكانت تصدر مرتين في الشهر حافلة بمختلف الموضوعات والمنتخبات من نثر ونظم، فكان صبري يديم النظر فيها، ويحاول الاقتباس منها والاقتداء بها، وله من ذات نفسه ملكة قوية تدفعه؟ وقريحة سخية ترفده، وذوق سليم يرشده، فنظم بعض القصائد تهنئة للخديو نشرها في هذه المجلة وعمره إذ ذاك ستة عشر عاماً. ثم رحل إلى فرنسا مع البعثة المصرية يستكمل حظه من العلوم في جامعة «إكس» فنال منها إجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ م، لابس أثناء ذلك الحضارة الأوروبية، وتذوق الآداب الفرنسية، وصادفت مواهبه الغريزية هناك ريباً من الجمال والعلم والفن فازدادت نمواً وخصباً. فلما رجع إلى مصر انسلق في طريق القضاء فقطع مراحلها واحدة فواحدة حتى أشرف منه علي الغاية. فخرج إلى الإدارة فتولى محافظة الاسكندرية ثم نقل إلى وكالة الحقانية فشغلها حيناً من الدهر، ثم نفص يده جملة - خدمة الحكومة سنة ١٩٠٧ لبلوغه سن التقاعد. ولزم داره يدارس أصحابه الأدب ويساجلهم القريض، ويرسل عواطف قلبه وخواطر فكره أنغاماً موقعة على قيثاره شعره. وكانت داره منتدى للشعراء ومثابة للأدباء يفدون إليها للسمر فينشدون

(٩٨) انظر ترجمته في: مشاهير شعراء العصر: ١/١٨٥، والمنتخب من أدب الغرب: ١/٩٢، وكتاب في الأدب الحديث: ٢/٢٥٦، وانظر أيضاً في مقدمة «ديوان صبري» لأحمد الزين: ص ٢٧ - ٤٣، وانظر الأعلام للزركلي: ١/٣١٥.

أشعارهم فينقدها نقد الصيرف، ويهذبها تهذيب المعلم، حتى نعتوه بالأستاذية، وأقروا له بالأولية. وظل على هذه الحال إلى أن مُني بداء القلب، فغالبه بضع سنين ثم صرعه سنة ١٩٢٣ وهو في التاسعة والستين من عمره.

شعره:

عَهْدُنَا بالشعراء الوجدانيين ينبغون في زهرة الشباب وربيع العمر حين تكون العواطف مشبوبة، والمشاعر مضطربة، والأمال موفورة، والحياة منضورة؛ ولكن صبري وهو شاعر وجداني محض لم ينبغ إلا وهو آخذ بمخنق الأربعين. فلم تتدفق قريحته في صباه كالبارودي، وإنما حفلت على مرور الزمان وطول المرانة وإدمان النظر. لم يكن شعره في لشباب إلا تقليداً لم يُحكّم، وتفكيراً لم ينضج، ومحاولة لم تتم. ولكن الله قد رزقه أذنّاً موسيقية وذوقاً سليماً وطبيعة ناقدة، فصاغه من الألفاظ المتخيرة، والمعاني المبتكرة، وسار وراء البحري ينشد الحب والموت، والجمال والصدقة، ويهزج بتلك المقطوعات الغنائية التي شَفَّت عن روحة، وكشفت عن طبعه، وأحلتها من أنداده محل الزعيم. كان صبري كما قال مطران أكثر ما ينظم لخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها، أو خبر ذي بال يسمعه، أو كتاب يطالعه وكان شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه، حتى إذا استقام على ما يريد ذوقه السليم من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسبه. وكان ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة. وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصّد قصيدته وهو نادر.

نموذج من شعره:

قال في الغزل ويقال إنه في الأنسة (مي):

يا لواء الحسن، أحزاب الهوى	أيقظوا الفتنة في ظل اللواء
فرقتهم في الهوى ثاراتهم	فاجمعي الأمر وصوني الأبرياء
إن هذا الحسن كالماء الذي	فيه للأنفس ري وشفاء
لا تذودي بعضنا عن ورده	دون بعض، واعدلي بين الظماء
أنت يم الحسن فيه ازدحمت	سفن الأمال يزجيها الرجاء
يقذف الشوق بها في مائج	بين لجين: عناء وشقاء
شدة تمضي وتأتي شدة	تقتفيها شدة، هل من رجاء
ساعفي آمال أنضاء الهوى	بقبول من سجايك رخاء
وتجلي واجعلي قوم الهوى	تحت عرش الشمس بالحكم سواء
أقبلي نستقبل الدنيا وما	ضمنته من معدات الهناء
واسفري، تلك حلى ما خلقت	لتواري بلثام أو خباء

أن روضاً راح في النادي وجاء
ناثر الدر علينا مانشاء
يملاً الدنيا ابتساماً وازدهاء
تعثر الصبوة فيها بالحياة
وارتضى آدابنا صدق الولاء
ملك ماكدت ذاك الصفاء
أن هذا الشكل من طين وماء
للملا تكوين سكان السماء
خلف تمثال مصوغ من ضياء

ديع يا قلب في غد أم نصيري
راضياً عن مكانك المهجور
للمحبين من عذاب السعير
ك غداً من صحيفة المقدر

ولا بشافعة في رد ما كانا
حمل الصبابة فاحقق وحدك الآن

هيفاء مرهفة القوام فتذكر
وتطل من حدق العيون وتنظر

وفوق يوماً في مقاتله سهمي
فكسر سهمي فانشيت ولم أرم

أيام والساعات مني
إن تخطها فرجت عني

للظالمين غداً وللأشرار
والأرض شبراً خالياً للنار

واخطري بين الندامي يحلفوا
وانطقي، ينشر إذا حدثنا
وابسمي، من كان هذا ثغره
لاتخافي شططاً من أنفس
راضت النخوة من أخلاقنا
فلو امتدت أمانينا إلى
أنت روحانية، لاتدعي
وانزعي عن جسمك الثوب بين
وأرى الدنيا جناحي ملك
وقال في ساعة الوداع:

أترى أنت خاذلي ساعة التو
ويك! قل لي متى أراك بجنبي
ساعة البين قطعة أنت قدت
لاتحيني، روحي الفداء لما حي

وقال:

أقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة
سلا الفؤاد الذي شاطرته زمناً

وقال:

تمسي تذكرونا الشباب وعهده
تثب القلوب إلى الرءوس إذا بدت

وقال في الصداقة:

إذا خانني خل قديم وعقني
تعرض طيف الود بيني وبينه

وقال:

ياموت خذ ما أبقيت الـ
بينني وبينك خطوة

وقال يناجي الله:

يارب أين ترى تقام جهنم
لم يُبق عفوك في السموات العلى

يارب أهلني لفضلك واكفني
ومر الوجود يشف عنك لكي أرى
يا عالم الأسرار حسبي محنة
أخلق برحمتك التي تسع الورى
شطط العقول وفتنة الأفكار
غضب اللطيف ورحمة الجبار
علمي بأنك عالم الأسرار
ألا تضيق بأعظم الأوزار

٩٩ - أحمد شوقي

١٨٦٨ - ١٩٣٢ م

١٢٨٤ - ١٣٥٠ هـ

نشأته وحياته :

ولد أحمد شوقي بن أحمد شوقي بالقاهرة ونشأ بها. أما أصله فقد سمع أباه يرده إلى لأكراد فالعرب ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من أحمد باشا الجزائر إلى «الي مصر محمد علي باشا فأدخله في معيَّته، وظل يتقلب في المناصب السامية حتى أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية».

ولقد كان أبوه متلاًفاً فأهلك ما ورث عن أبيه فكفلته في المهد جدته لأمه وكانت إحدى وصائف القصر في عهد إسماعيل ولما بلغ الرابعة من عمره، أدخل في مكتب الشيخ صالح في حي الحنفي، ثم تلقى بعد ذلك دروسه الابتدائية والثانوية وتقدم إلى مدرسة الحقوق في سن باكراً ففضى بها عامين. ثم عدل إلى قسم الترجمة الذي أنشئ فيها ففضى به عامين آخرين نال بعدهما شهادتها النهائية. ثم ضمه الخديو توفيق إلى معيَّته وأشخصه إلى فرنسا على نفقته ليدرس الحقوق والآداب فدرس عامين في (مونبيليه) وعامين في باريس. ثم عاد إلى منصبه في المعية الخديوية. وظل يتدرج في المناصب حتى تولى رئاسة القلم الأفرنجي في عهد الخديو عباس الثاني. ونفق لدى هذا الأمير حتى كانت شفاعته عند ذوي الحكم لا ترد وإشارته لا تخالف. ولما شبت الحرب العالمية الأولى خلعت انجلترا بقوة الاحتلال الخديو عن عرش مصر. ورأى أولو الأمر يومئذ أن يغادر شوقي البلاد، فاخترت برشلونه من أعمال أسبانيا مقراً له ولأسرته ولم يعد إلى مصر إلا بعد أن عاد السلام إلى العالم. ولكن صلته الوثيقة بالنظام القديم، ومدائحه المروية في الخديو المنفي ما زلت توحي بينه وبين القصر أسباب الثقة والتقريب. فانصرف الشاعر بإلهامه وأنغامه إلى الشعب، يذود عن

(٩٩) انظر ترجمته في: مرآة العصر: ١١٣/٣، وصفوة العصر: ص ٦٣٦، والمنهج الجديد: ص ٣٧، ومشاهير الكرد: ٨٤/١، ومعجم المطبوعات: ١١٥٨، والمتمخ من أدب العرب: ١/١٠٨، ومناهل الأدب العربي: ٣٧/٦، وأعلام الشرق والغرب: ص ٩٥-١٠٧، وانظر الأعلام للزركلي: ١/١٣٧.

حوضه، ويهتف بمجده، ويعرب عن شعوره، وينقل عن طبعه، ويتغنى بجهاده، حتى حمدت له مصر والعرب هذه اليد، فأقاموا له في دار الأوبرا الملكية مهرجاناً عاماً لتكريمه اشترك فيه رجال مصر وأقطاب الدول العربية برعاية صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول. ولم يزل شوقي مهبط الوحي والإلهام، وموضوع الإكبار والإكرام، حتى انتقل إلى جوار الله في سنة ١٩٣٢، فأقامت له وزارة المعارف وطائفة من أعيان الفضل والأدب، حفلة تأبين بدار الأوبرا الملكية دعت إليها أقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية ورعاها الملك بنائب عنه.

شوقي الشاعر:

يكاد النقاد يجمعون على أن شوقي كان تعويضاً عادلاً عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبي لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب.

كان شوقي ينقل شعره عن طبع دقيق، وحس صادق، وذوق سليم، وروح قوي، فيأتي به مطرد السلك محكم السبك لا يشوبه ضعف ولا لغو ولا تجوز ولا قلق. وهو كالمتنبي في أنه تصرف بين الناس فلا بس أولياءهم، وخالط دهماءهم، حتى عرف كيف يصف طبائعهم، ويصور منازعهم. وهو مثله في إرسال البيت النادر، والمثل السائر، والحكمة العالية، مستخلصاً ذلك مما يسوق من المعاني المدح أو الوصف أو الرثاء، دون أن يتوخاه أو يقصد إليه - وهو كذلك مثله في أن بيته يفيض بالمعنى البعيد المبتكر فيضاً يغرق فيه الذهن أحياناً، فلا يصل إلى قاع، ولا يرسى إلى ساحل. أما معانيه فكثيرها مخلوق وقليلها مطروق. وأما ألفاظه فأنماط من القول تختلف مادة وصنعاً باختلاف المواقف، وأكثرها عليه رونق طبعه، وسمة ظرفه، وعذوبة روحه. وقد يعفى طبعه أحياناً فيرسل شعره كما يجيء فيأتي بما لا يتفق مع فضله.

وشوقي محافظ في دينه ولغته وفننه، يكثر التردد لأسماء الأنبياء والخلفاء والكتب المنزلة، والأماكن المقدسة، ويؤثر النسج على منوال الفحول من شعراء بني العباس، والنظم في البحور الطويلة. وقلما ينظم في الأوزان المستحدثة أو ينوع القافية في القصيدة. على أن هذه المحافظة لم تمنعه من تكميل نقص الشعر العربي، فقد ظل شعرنا إلى عهده غنائياً (lyrique) يستمد الشاعر من طبعه، وينقله عن قلبه، حتى جاء هو فنظم ما يشبه الشعر القصصي (Eptique) في طول النفس ووطنية الموضوع وعمومية الحادث، كأرجوزته (دول العرب) وقصيدته في (وادي النيل).

ثم عالج الشعر التمثيلي، فنظم رواياته المعروفة: مصرع كليوبترا، ومجنون ليلى،

وقمييز، وعلي الكبير، وعنتره، والست هدى، فكان بهذا التجديد الشاعر العربي الكامل .
وقد جمع شعره في ديوان يقع في أربعة أجزاء . وله غيره في الشعر كتاب (عظماء الإسلام)
وجملة من القصائد للأطفال والأغاني .

ولشوقي نثر مسجوع لا يختلف عن الشعر إلا في الوزن، جمع طائفة كبيرة منه في
كتاب سماه (أسواق الذهب) . وله من النثر المرسل قصص منها . لا ياس، وورقة الآس،
ومذكرات بتشاءور، وأميرة الأندلس :

نموذج من شعره :

قال من قصيدة يصف فيها دمشق :

دمشق روح وجنات وريحان
الأرض دار لها (الفيحاء) بستان
كما تلقاك دون الخلد رضوان
والشمس فوق لجين الماء عقيان
حور كواشف عن ساق وولدان
الساق كاسية والنحر عريان
وللعيون كما للطير ألحان
أفوافه فهو أصباغ وألوان
لدى ستور حواشيهن أفنان
جفت من الماء أذيال وأردان

آمنت بالله واستثنيت جنته
قال الرفاق وقد هبت خمائلها
جرى وصفق يلقانا بها (بردى)
دخلتها وحواشيه زمرده
والحور في (دمر) أو حول (هامتها)
و (ربوة) الواد في جلباب راقصة
والطير تصدح من خلف العيون بها
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً
وقد صغى (بردى) للريح فابتدرت
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا

وقال يصف رحلته إلى الأندلس من قصيدة طويلة :

اذكر لي الصبا وأيام أنيسي
صورت من تصورات ومس
سنة حلوة ولذة خلس
أو أسا جرحه الزمان المؤسي
رق والعهد في الليالي تقسي
أول الليل أو عوت بعد جرس
ح حلال للطير من كل جنس

اختلاف النهار والليل ينسى
وصفا لي ملاوة من شباب
عصفت كالصبا اللعوب ومرت
وسلا مصر: هل سلا القلب عنها
كلما مرت الليالي عليه
مستطار إذا البواخر رنت
أحرام على بلابله الدو

ومنها:

كل دار أحق بالأهل إلا
في خبيث من المذاهب رجس

ومنها:

وطني لوشغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخلُ حسي

١٠٠ - محمد حافظ إبراهيم

١٨٧٠ - ١٩٣٢ م

١٢٨٦ - ١٣٥٠ هـ

نشأته وحياته:

ولد محمد حافظ إبراهيم في ديروط من أعمال مديرية أسيوط حوالي سنة ١٨٧٠ إذ كان أبوه إبراهيم فهمي من المهندسين المشرفين على بناء قناطرها. ولما كان عمره سنتين توفي أبوه فقيراً في ديروط فانتقلت به أمه إلى القاهرة فكفله خاله وأدخله (المدرسة الخيرية) فمدرسة المبتديان فالمدرسة الخديوية. ثم انتقل خاله إلى طنطا فقله معه؛ ف قضى فيها بضع سنين متبطلاً يزجي فراغه بالقراءة، ويدفع ملاله بالقريض.

ولم يستطع خاله لسبب ما أن يجلو عنه غمة اليأس وذلة اليتيم، فكان لا يفتأ متبرماً بالعيش، متأففاً بالناس، مُتَجَنِّباً علي القدر، لا ينشئ الشعر إلا في ذلك. ثم دفعته الحاجة إلى مكاتب المحامين فتبلغ بالعمل فيها حيناً، حتى أسعفته الفرص فدخل المدرسة الحربية، وخرج منها ضابطاً بالجيش. ثم نقل إلى الشرطة، ثم أعيد إلى الجيش، وأشخص إلى السودان في الحملة المصرية بقيادة كتشنر فبقي هناك زمناً كان لا ينفك فيه متبرماً متمرداً، يلح في العودة إلى مصر. فلما أخفق مسعاه ثار مع فئة من الضباط سنة ١٨٩٩، فحوكم وأحيل إلى الاستيداع، ومنه إلى المعاش.

عاد حافظ كما كان يضطرب في الحياة المبهمة، لا يستريض لعمل، ولا يستقر على أمر، ولا يتشوف إلى غاية، وإنما يضطرب نهاره من قهوة إلى قهوة، ويتقلب ليله من مجلس إلى مجلس، ويفيء إلى ظل الإمام محمد عبده فينتفع بجاهه ويعيش على رفده، ويغشى مع ذلك أبهاء النعمة، يسامر أهلها بعذب حديثه، وينادمهم برقيق شعره. وفي سنة ١٩١١ عينه أحمد حشمت باشا وزير المعارف يومئذ للقسمة الأدبي بدار الكتب المصرية، ثم وكيلاً

(١٠٠) انظر ترجمته في: مشاهير شعراء العصر: القسم الأول، شعراء مصر: ١٨١ - ٢٠٦، وصفوة العصر: ص ٦٤٣، والمنتخب من أدب العرب: ١/١٠٠، وآداب العصر: ص ٢٣٢، وشعراؤنا الضباط: ص ٥٣ - ٩٥، وأعلام من الشرق والغرب: ص ١٠٨ - ١١٢، ومعجم المطبوعات: ٧٣٦، وانظر الأعلام للزركلي: ٧٦/٦.

للدار، وظل في هذا المنصب حتى خرج إلى التقاعد في صدر سنة ١٩٣٢ وتوفي صيف السنة نفسها.

حافظ الأديب:

عاش حافظ بحكم طفولته الشاردة المهملة عيش الكسل والتبطل، لا يميل إلى علم، ولا ينشط إلى عمل كدأب الناس قديماً من أضراب مسلم بن الوليد، وأبي نواس، ممن عاشوا صنائع للملوك، وحمائل على الجوائز، ووسائل اللهو، كان مبدأه الأديبي مبدأ اليوم، كما كانت حياته المادية حياة الساعة. رأى الآمال تهافت حيناً من الدهر على أريكة الخديوية في مصر وعرش الخلافة في الآستانة، فجرى لسانه بالشعر المطبوع، في مدح عباس وتمجيد عبد الحميد. ثم اتصل بالإمام محمد عبده وشيعته من سراة البلاد وشيوخ الأمة، ولهم يومئذ في الإنجليز رجاء موصول وظن حسن، فصدرت عنه في هذه الفترة قصائد في رثاء الملكة فكتوريا، وتتويج الملك إدوارد السابع، ووداع اللورد كرومر، عبر بها عن الرأي الأرسقراطي في ذلك الحين. ثم خلص للشعب. فلا بس دهماء، وخالط زعماءه، واندفع بقوة الوطنية الدافقة الشابة إلى لواء مصطفى كامل فمزح شكواه بشكوى البلاد، وضرب على أوتار القلوب أناشيد الجهاد، ونظم أمانى الشباب من حبات قلبه، وترجم أحاديث النفوس ببيان شعره.

عكف منذ شب على دواوين الشعر، وأجزاء (الأغاني) ينتحلها ويمثلها ويعاود النظر فيها. حتى بلغ من مختار الرواية ومصطفى الكلام ما لا غاية بعده. ثم قنع من فروع الثقافة الأخرى ينتف من المسائل الأولية ينقلها عن السماع ويأخذها من الصحف إذا ظن أنها تدخل بوجه من الوجوه فيما يمينه من ابتكار الأسمار وصوغ القريض.

حافظ الشاعر:

صياغة حافظ هي موهبته الأولى ومزيتة الظاهرة. وهو في ذلك ثاني الخمسة الذين تيقظت على دعوتهم نهضة الشعر، وتجددت على صنعتهم بلاغة القصيد. ولعله انفرد عن هؤلاء جميعاً بالصدق في تعبيره عن هموم قلبه، وتفسيره لأمانى شعبه، وتصويره لمساوىء عصره. أما الروح والموضوع فأصداً منبعثة من الماضي في فريدياته. وآراء مقتبسة من الحاضر في اجتماعياته. كان إذا تهيأ للشعر عمد إلى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس، وتستفيض في المجامع، وتتردد في الصحف، فيجمعها في باله، ويديرها في خاطره، ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ، ويسبكها فيجيد السبك، وتقرأ بعد ذلك أو تسمع فإذا نسق مطرد وأسلوب سائغ، وشيء كأنك سمعته من قبل ولكن عليه طابع حافظ ووسمه.

قال على لسان اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها .

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
ولدت ولما لم أجد لعراشي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فيا ويحك أبلَى وتبلى محاسني
فلا تكلوني للزمان فلإنني
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً
ومن خمرياته :

أوشك الديك أن يصيح ونفسي
يا غلام! المدام والكاس والطا
أطلق الشمس من غياهب هذا الـ
وأذن الصبح أن يلوح لعيني
وادع ندمان خلوتي وائتناسي
وأسقنا يا غلام حتى ترانا
خمرة قيل إنهم عصروها
وقال من قصيدة (غادة اليابان) :

لا تلم كفي إذا السيف نبا
رب ساع مبصر في سعيه
مرحبا بالخطب يبلوني إذا
عقني الدهر ولولا أنني
إيه يا دنيا اعبسي أو فأبسمي
أنا لولا أن لي من أمتي
أمة قد فت في ساعدها
تعشق الألقاب في غير العلا
وهي والأحداث تستهدفها
لا تبالي لعب القوم بها

بين هم وبين ظن وحدهس
س وهىء لنا مكاناً كأس
دن وأملأ من ذلك النور كأسى
من سناها، فذاك وقت التحسي
وتعجل وأسبل ستور الدمقس
لا نطبق الكلام إلا بهمس
من حدود الملاح في يوم عرس
صح مني العزم والدهر أبى
أخطأ التوفيق فيما طلبا
كانت العلياء فيه السببا
أوثر الحسنى عقت الأديبا
لا أرمي برقك إلا خلبا
خاذلاً ما بت أشكو النوبا
بغضها الأهل وحب الغربا
وتفدي بالنفوس الرتبا
تعشق اللهو وتهوى الطربا
أم بها صرف الليالي لعبا

١٠١ - جميل صدقي الزهاوي

١٨٦٣ - ١٩٣٦ م

١٢٧٩ - ١٣٥٤ هـ

نشأته وحياته :

ولد جميل صدقي الزهاوي في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر يونيو سنة ١٨٦٣ م ببغداد لأبوين كرديين كريمين، ثم نشأ في أسرة تميزت بالدين والفقه والأدب. فقد كان أبوه محمد فيضي الزهاوي مفتياً لدار السلام وأخوه فقيهاً من فقهاؤها. وكان أخوه - كما حدثني جميل - لا يتذوق الأدب، فكان يذوده عن رواية الشعر، ويصده عن دراسة اللغة، ويأبى عناده هو، وتسامح أبيه، إلا أن يديم النظر في الأدب ويروض القريحة على القريض. كان هم أخيه وأمل أبيه أن يستقيم على عمود أسرته فيكون صاحب قضاء وفقه، ولكنه استقام على محتوم طريقتة فكان صاحب شعر وفلسفة. وكان العراق أيام الزهاوي تركي السلطان سني الحكومة، فالتعليم المدني فيه كان تابعاً في لغته وطريقته وغايته لسياسة الأجنبي وهواه؛ فلم يخرج إلا رجال جيش أو رجال إدارة. أما التعليم الديني فظل في صحن اجوامع، عربي اللسان، حر النزعة، طليق الفكرة، فتثقف الزهاوي بهذه الثقافة. تنفست على أعصابه الشاعرة أمواج العروبة ترسلها على بغداد البوادي الملهمة. ثم نزع عرق العم والخال من الكردية فجاهد وجالد وغامر. ثم أبْتَلِيَ وهو في الخامسة والعشرين من عمره بداء في النخاع الشوكي لازمه بقية حياته. ورُمِيَ بعد ذلك بالشلل في رجله فيرم وأكتأب وتشاءم! ثم مني في عصره بفساد السلطان وأستطالة الجهل، وأنحلال الخلق، فدفعته هذه العوامل كلها إلى مواقف المصلحين من الإنذار والنصيحة.

لم يخلد الزهاوي إلى التبطل كأكثر أهل الشعر، وإنما غامر في خطير الأمور، فعين في بغداد عضواً في مجلس المعارف، ثم مديراً لمطبعة الحكومة، ثم محرراً بالجريدة الرسمية، ثم انتخب عضواً في محكمة الاستئناف. ودعا الخليفة حين نبه ذكره إلى الأستانة فحرك فيها لسان النقد وأفض بها مضاجع التجسس، فأنفض أمره وساء مقامه. ولما أعلن الدستور العثماني عين رئيساً لقسم الفلسفة الإسلامية في (المكتب المكي) ثم مدرساً للآداب العربية في (دار الفنون) ثم عاد إلى بغداد فعين أستاذاً للشريعة في مدرسة الحقوق. ثم انتخب نائباً عن العراق في (مجلس المبعوثان) وهو في خلال ذلك كله لا يفتر ليلة عن

(١٠١) انظر ترجمته في: الأدب العصري: ٥/١، ومشاهير الكرد: ١٦٣/١، وملوك العرب للريحاني:

٣٨١/٢ - ٣٨٧، وانظر الأعلام للزركلي: ١٣٨/٢.

الشعر والقراءة، ولا يكمل نهاره عن الحديث والكتابة. حتى غلب الترك في الحرب العالمية الأولى وقام عرش فيصل في العراق فكان الشأن لأصحاب الجيش وأقطاب السياسة أما الزهاوي وأمثاله من رجال الفكر والشعر فأتخذوا طريقهم على الهامش. اللهم إلا زمناً يسيراً عيَّنه فيه الملك فيصل الأول عضواً بمجلس الأعيان العراقي، ثم تخلى عنه لجرأة شعره وصراحة رأيه، فكان لا ينفك شاكياً ذلك الحرمان متحاملاً على نفسه مع انسراق القوى واستحكام العزل، حتى توفاه اللُّة ببغداد في أواخر فبراير من عام ١٩٣٦.

الزهاوي العالم:

كان الزهاوي في صدر شبابه ينظر في العلوم الطبيعية والفلسفية، ووسيلته إلى ذلك ما تُرجم من المقالات في الكتب والمجلات، لأنه لم يعرف من اللغات إلا العربية والفارسية والتركية والكردية، وكلها لا تصل فكر الإنسان بالثقافة الحديثة. ومع ذلك استبطن دخائل هذه العلوم بعقله النافذ حتى ألف كتاب (الكائنات) في الفلسفة، وكتاب (الجابضية وتعليلها) في الطبيعة ذهب فيهما مذهباً خاصاً خالف به أقطاب العلم وجهاذة النظر كقوله: إن علة الجاذبية ليست جذب المادة للمادة، وإنما هي دفعها إياها بسبب ما تشعه من الالكترونات وسواء أنهض دليله أم دحض فإنه يدل على النظر الثاقب والفكر المستقل.

الزهاوي الشاعر:

الزهاوي شاعر من شعراء الفكرة، له البصيرة الناقدة، والفتنة النافذة، وليس له الأذن التي تمسوق، ولا القريحة التي تصنع. فاللفظ قد لا يختار، والوزن قد لا يتسق، والأسلوب قد لا ينسجم، ولكن الفكرة الحية الجريئة تعج بين الأبيات المتخاذلة عجيج الأمواج المزيدة بين الشواطئ المنهارة. وكان الزهاوي كشوقي حريصاً على متابعة العصر ومسايرة التطور. ومنشأ هذا الحرص فيهما طبع مرن يطلب التجدد، وحس مرهف بأنف التخلف. ويزيد الزهاوي أن الفخر يزهاه والته يذهب به فيحب الشاء ويغض النقد، فهو لفرقه من صفة القدم يسبق الشباب إلى التجديد، ولنفوره من معرة الجمود يذهب بالرأي إلى التطرف، ولطمعه في نباهة الذكر يجاري ميول الخاصة ويعارض هوى العامة. ومن ثم كان أكثر شعره تشنيعاً على الاستبداد بمهاجمة أهل الحكم، وازراية على الجمود بمحاربة أهل الدين، وتحقيراً للتأخر بمصادمة مألوف الأمة.

نموذج من شعره:

قال من قصيدة بعنوان الجهل والعلم:

يريد أناس فرقة الشعب جهدهم
ونحن الألى ما فرق الدين بيننا
فلا عطست باليمن تلك المعاطس
وإن كثرت بعض الأوان الدسائس

جوامعنا في جنبهن الكنائس
صديقاً يواسي أو عدواً يعاكس
كلانا أخو صدق كلانا مؤانس
لها حرمة محمودة والقلانس
لها العلم نظام لها العدل سانس
على الصدق حباً أن تطيب الغرائس
معظمة ترعى علاها أشاوس
فأنت بميدان الفصاحة فارس
يقول وأن العلم في الأذن هامس
فلله شعري اليوم ماذا يمارس
تجل ربوع العلم وهي المدارس
فلا البرموتور ولا البحر خانس
وليس لها في المشرقين مشاكس

فعضنا وعاشت من عصور كثيرة
ولا يعدم الإنسان طول حياته
ولكننا عشنا جميعين أعصراً
وإننا سنحيا والعمائم عندنا
سنحيا نعم في وحدة عربية
وتغرس في قلب الشبيبة جرأة
ساعدنا فيما نحاول دولة
قول لشعري أيها الشعر وصل وجل
أغاظك أن الجهل في الناس جاهر
بمارس شعري اليوم إصلاح أمة
ستحميك يا شعري فأنذر حكومة
حكومة عدل مهد الأرض حكمها
وليس لها في المغربين معارض

ومن خطراته :

ما ليس تغني الرموز
ممل الادة يروز
يجوز ما لا يجوز
يفنى وتبقى الكنوز
ولا تموت عجوز
جبان شيئاً يجوز
فيه الجسور يفوز

إن الصراحة تغني
أخوالحجا قبل أن يج
وعند من هو غر
كم جامع لكنوز
وقد تموت فتاة
لا تجبنن فليس ال
إننا نعيش بعصر

داج بغير دليل
حتى ضللت سبيلي
به أبل غليلي
فلم أفز بالقليل
فكان غير خليل
ئي عند خطب جليل
وأسرتي وقبيلي

لقد مشيت بليل
فما بعدت كثيراً
من لي بماء براد
طلبت شيئاً قليلاً
وكم صحبت خليلاً
كل الأحبة أعدا
لا خير لي من بلادي

خاتمة

في الاستشراق والمستشرقين

يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره؛ ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم؛ إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه مآثر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم؛ كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمّه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح. وكان حظه من الثقافة يومئذ ما تضمنه حصون الأمراء المتوحشين من الكتب، وما يعلمه بعض الرهبان المساكين من قشور العلم. وأنقضى القرنان التاسع والعاشر للميلاد وأولئك الأمراء في قصورهم يتبححون بالأمية ويرتعون في الدماء، وهؤلاء الرهبان في دورهم يمحن الكتابة من روائع الكتب لينسخوا على صفحاتها الممحوّة كتب الدين. حتى أزال الله الغشاوة عن بعض العيون، فرأوا من وراء هذا الظلام الداخي بقعة من المغرب تسطح فيها شمس المشرق. فلما تبينوا أن البقعة هي جزء من إسبانيا، وأن النور قبس من نور بغداد، استيقظ في نفوسهم طموح الكمال الإنساني، فطلبوا العلم فلم يجدوه إلا عند العرب.

ففي سنة ١١٣٠ م أنشئت في طليطلة مدرسة للترجمة تولّاها الأسقف ريموند، أخذت تنقل جلائل الأسفار العربية إلى اللاتينية، وعانهم على ذلك اليهود. فبعثت هذه الترجمة في أوروبا الخامدة شعوراً لطيفاً، وروحاً طيبة. وتضافرت على هذا المجهود النبيل قواعد أخرى للترجمة طوال القرون الثاني والثالث عشر والرابع عشر حتى بلغ ما ترجموه من العربية يومئذ ثلاثمائة كتاب كما أحصاها الدكتور (لكلارك) في كتابه تاريخ الطب العربي، وأحصاها غيره أربعمائة. وكان أكثر ما ترجم في هذه العهود كتب الرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن رشد وابن سينا، وما نقل إلى العربية من اليونانية لجالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس

الخ . . وظلت هذه الكتب المنقولة منهاجاً للتعليم في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة ، وأحتفظ بعضها بقوته وقيمته حتى القرن التاسع عشر .

قال المؤرخ الإنجليزي ملر في كتابه فلسفة التاريخ : « إن مدارس العرب في إسبانيا كانت هي مصادر العلوم ، وكان الطلاب الأوروبيون يُهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة . وكذلك أصبح جنوبي إيطاليا منذ احتله العرب ، واسطة لنقل الثقافة إلى أوروبا . وممن ورد تلك المناهل الراهب (جريرت الفرنسي) ، فإنه بعد أن ثقف علوم اللاهوت في (أورياق) مسقط رأسه جاب عقاب البرانس والوادي الكبير حتى ورد أشبيلية ، فدرس فيها وفي قرطبة الرياضيات والفلك ثلاث سنين . ثم ارتد إلى قومه يشر فيهم نور الشرق وثقافة العرب فرموه بالسحر والكفر ، ولكنه ارتقى إلى سدة البابوية سنة ٩٩٩ م بأسم سلفستر الثاني . كذلك تخرج على علماء قرطبة (شانجه) ملك ليون وأستوريا ، وأولع بعض علماء إيطاليا بالعربية ، وعدوها لغة الأدب العالي ، وأوصى قومه الراهب روجر بيكون الإنجليزي بتعلم اللغة العربية وقال : « إن الله يؤتي الحكمة من يشاء ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين ، وإنما آتاها اليهود والإغريق والعرب » .

على أن الاستشراق لم يبق محصوراً في دائرة الانتفاع بعلوم العرب ومدنية الشرق . وإنما خرج عنها إلى أغراض تجارية أو استعمارية أو دينية ، فأقبلت الأمم الأوروبية القوية بحكم هذه الدوافع تتنافس في التعرف على الشرق وارتباد أقطاره ، وكشف آثاره ، وفتح كنوزه ، وإحياء أدبه ، وطبع كتبه ، وإبراز فنه ، ثم صار الاستشراق فناً قائماً بنفسه ، يطلب به الوقوف على لغات الشرق ميتها وحيها ، والاطلاع المباشر على آدابها وفنونها . وفي سبيل ذلك أسسوا المطابع وأنشأوا المكتبات وألفوا الجمعيات وأقاموا المؤتمرات وأصدروا المجلات ، وجمعوا المخطوطات ، ونشروا نفائس الكتب ، وعلقوا عليها الحواشي وذيّلوها بالفهارس المختلفة للأسماء والموضوعات والأمكنة ، ثم كتبوا البحوث القيمة في تحقيق الألفاظ ، وتحرير الأصول وتصحيح الأخطاء ، وكشف المجهول على الأسلوب العلمي الصحيح ، والمنهاج المنطقي الحديث ، فكانوا في ذلك قدوة لمعلمي اللغة ومؤرخي الأدب من العرب ، في تحضير المادة ، وتنظيم البحث ، وتوخي الدقة ، وتحري الصواب ، وتقصي الفروع .

أشهر المستشرقين

اشتهر من المستشرقين الفرنسيين فيتيه Veter المتوفى ١٦٦٧ ، وهو طبيب الدوق دورليان ، نقل إلى الفرنسية تاريخ ابن المكين ، وتيمورلنك لابن عربشاه ، وعلم المنطق ، والأمراض العقلية لابن سينا ، واللامية للطغرائي . وهربلو Herblot المتوفى سنة ١٦٩٦ ،

كان أميناً لسر لويس الرابع عشر وأستاذاً للعربية في معهد فرنسا، ألف (المكتبة الشرقية) وهو معجم جامع لما في الشرق من فلسفة وأدب واجتماع. وسديو Sédillot. المتوفى ١٨٣٢ كان متخصصاً في علم الفلك عند العرب وقد نشر نبذة في الهندسة لابن الهيثم ١٨٣٤ و(علم الرياضيات وجامع المساويء والغايات) في الآداب الفلكية لأبي الحسن علي وكوسين دي برسفال deparcéval المتوفى ١٨٣٥ نقل تاريخ صقلية تحت حكم المسلمين، ونشر المعلمات السبع وأمثال لقمان. وطبع الجداول الفلكية من الريح الحاكمي، ومقامات الحريري، وترجم الجزء الناقص من ترجمة جلان لألف ليلة وليلة. وسلفستر دساسي المتوفى سنة ١٨٣٨، برع في اللغتين العربية والفارسية وتخرج عليه فيهما طائفة من أعلام الاستشراق في الغرب. ألف في العربية كتاباً سماه (الأنيس المفيد للطالب المستفيد) اختار فيه صفوة من المنظوم والمثثور، وكتب شرحاً وجيزاً على مقامات الحريري، ونشر كليلة ودمنة وألفية ابن ملك ورحلة عبد اللطيف البغدادي. ثم ألف ثلاث مذكرات قدمها إلى المجامع عن مصر الإسلامية إلى الاحتلال الفرنسي. ومارسل: المتوفى سنة ١٨٥٤ كان مترجم الحملة الفرنسية في مصر، ألف كتاباً في وصف مضر واختار طائفة من الشعر العربي، وله مقالات قيمة عن ابن ميمون، وابن سينا، والضامري، والقزويني. نشرها في المجلة الآسيوية، وكتمبر المتوفى سنة ١٨٥٧ أخذ العربية عن دساسي، وانتخب عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي ثم محرراً في المجلة الآسيوية. نقل إلى الفرنسية بعض كتاب السلوك للمقرئزي، ونشر مقدمة ابن خلدون في ستة أقسام فرنسية عربية ومختجات من أمثال الميداني، وكتاب الروضتين لابن شامة. وله أبحاث في المجلة الآسيوية عن النبطيين والعاسيين والفاطميين. وكتاب الأغاني، وذوق الشرقيين في الكتب، وحياة المسعودي وآثاره.

ومن أشهر المستشرقين الألمانين فريتاغ المتوفى سنة ١٨٦١ تلقى العربية عن دساسي، وعين أستاذاً لها في كلية بونه. نقل ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي. وزبدة الطلب في تاريخ حلب لابن النديم، وفاكهة الخلفاء لابن عريشاه. وقد وضع معجماً عربياً لاتينياً في أربعة أجزاء. وجوستاف فلوجل المتوفى سنة ١٨٧٠ نشر كشف الظنون، والفهرست لابن النديم، ومؤنس الوحيد للشمالي، وطبقات الحنفية لقطلوبغا، والقرآن. وفلبشرو المتوفى سنة ١٨٨٨، ألف في الآداب الشرقية كتباً كثيرة، ونشر تفسير البيضاوي والمفصل للزمخشري. وفرندان وستفيلد المتوفى سنة ١٨٩٠، نشر طبقات الحفاظ للذهبي، وسيرة ابن هشام، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ومعجم البلدان لياقوت. ونلدكي المتوفى سنة ١٩٣١ ألف في الألمانية تاريخ القرآن، وتاريخ عروة بن الورد، وبحثاً في الشعر الجاهلي، وبحثاً في المعلمات السبع وغير ذلك.

وممن اشتهر من الإنجليز أدوردلين المتوفى سنة ١٨٧٤ عاش بمصدر صدر شبابه ثم وضع كتاباً في وصف مصر، وكتاباً آخر في عادات المصريين وشماثلهم ترجم أكثره في مجلة الرسالة وطبع مجموعاً في مطبعتها سنة ١٩٤٩، ومعجماً عربياً إنجليزياً، ثم ترجم ألف ليلة ونية إلى الإنجليزية. ووليم موير المتوفى سنة ١٩٠٥ ومن مؤلفاته حياة النبي، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ الخلافة؛ وهي من المراجع المعتمدة في الجامعات الإنجليزية والهندية.

وممن اشتهر من الإيطاليين دافيد سنتالانا المتوفى سنة ١٩٣١ ولد في تونس ودرس في روما، وكان له بالمذهب المالكي والشافعي علم واسع. عين في سنة ١٩١٠ أستاذاً للفلسفة بالجامعة المصرية، فألقى بها محاضرات قيمة. وتلينو المتوفى سنة ١٩٣٨، وقد دعي في سنة ١٩٠٩ لإلقاء محاضرات في تاريخ أدب اللغة العربية فأفاد بخبرته وطريقته كثيراً من الناس. وقد عني بالمسائل الجغرافية والفلكية عند العرب. واغناطيوس جويدي المتوفى سنة ١٩٢٥ وقد انتدبته الجامعة المصرية كذلك سنة ١٩٠٨ للتدريس فيها فألقى دروسه باللغة الفصحى.

وإذا أردت استقصاء هذا الموضوع فأقرأ كتاب (المستشرقين) للأستاذ نجيب العقيقي فتد ألم بتاريخ الاستشراق إماماً ينفع الغلة ويغني عن المزيد.

ذيل

في تفسير ما ورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتركيب الغامضة

- ٧ كنف الله: حرزه ورحمته. عرك الخطوب: شدتها وأذاها. النحلة: المذهب والديانة. اللسن الفصاحة. ١٧
- ١٠ النفر بالسكون: لجماعة يتقدمون في الأمر. ١٨
- ١١ القطر: المطر. يسمونها. يرعونها. أخلفت السماء: أطمعت في الغيث ولم تمطر. القرابة الواشجة: المشتبكة. الطعينة: الزوجة. البناء بالمرأة: التزوج منها. ١٢
- أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً: والمقصود بأنها كلمة جاهلية أنها كانت في العصر الجاهلي قبل الإسلام. ولكن وجه رسول الله ﷺ هذا الكلام إلى وجهه الصحيح فقال عندما سئل كيف نصره إذا كان ظالماً قال: «أن تمنعه من الظلم». الاستقراء: ١٩
- تتبع الحوادث بالملاحظة لتكون منها حكماً. الأنواء: جمع نوء وهو سقوط نجم في الغرب وطلوع نجم بحiale من ساعته في الشرق كل ثلاثة عشر يوماً، وكانوا يضيفون أفاعيل الطبيعة من المطر والرياح إلى الساقط منها فيقولون مطرنا بنوء كذا. العرم: السدود تبنى في الوادي لحبس المياه خلفها وهي الخزانات. وسيل العرم ١٦
- سيل عظيم هدم عرماً كان أهل سبأ في اليمن قد بنوه فأغرقهم ومزقهم في البلاد. المنافرة: المحاكمة في الحسب والنسب. ١٧
- شن: اسم رجل، وطبقة: اسم امرأة اتفقا في الذكاء والدهاء فضرب بهما المثل. ١٨
- لأمر ما جدع قصير أنفه: يضرب لمن يظهر شيئاً ويضمخ خلافه: يداك أوكتا وفوك نفخ. أوكى السقاء: ربطه. وأصله أن رجلاً نفخ سقاء وربطه ليعبر عليه النهر سابحاً، فلما توسطه انحل السقاء وأوشك الرجل على الغرق، فاستغاث برجل على الشاطئ فقال له هذا المثل، يضرب لمن يجني على نفسه بإهماله. الجدد: الأرض الغليظة المستوية. العي: العجز عن الكلام.
- اللحمة: ما نسج عرضاً، والسدي: ما مد من خيوط الثوب طولاً. القدح المعلى: أكبر الأنصبة في الميسر. الذمار: ما يلزمك حمايته والدفاع عنه. ذات البين: العداوة والبغضاء على رأي والنسب والصدقة على رأي آخر. الأقيال: جمع قيل وهو الملك الصغير. يشد أزرها: يقويها ويؤيدها والأزر الظهر. المخاصر: العصبي. والصفاح: السيوف. والنشز:

صوت مع ربح من فمه عند الشبع
«تكرع».

الحشف: أردأ التمر. راش السهم: أزرع
عليه الريش. الريث: البطء. الحوبة:
الذنب. سدة بيته: خزانة والقائمون
عليه. الحرص: الدهر.

الخور: الضعف. التواكل: أن يتكل كل
على الآخر. أحداث الدهر: نوابه.
الغرض: الهدف. تعاوره. تتداوله.

يزدهيم: يستخفهم. عفو البديهة وفيض
الخاطر: ارتجالاً من غير روية. المناد:
المعوج. أصادي، أداجي وأخاتل.

وعوثة الصحراء: صعوبتها وتوعرها.
السمة: العلامة. الحلبة: ميدان السباق.

القباطي هي الستور والأثواب والطنافس
التي اشتهرت مصر بصنعها قبل الإسلام
وبعده، مفردها قبطية وقد وردت بهذا
اللفظ في قول زهير بن أبي سلمى:

ليأتينك مني منطلق قدع
باق كما دنس القبطية الودك

٢٨ الغيث هنا: البقل والمرعى
والوسمي: أول مطر الربيع. والرائد: من
يبعثه أهله في طلب المرعى. الأسحم
هنا: السحاب الأسود اللون. العجلزة:
الفرس الشديد العضل. أترز الجري
لحمها: أيبسه وأضمرة. الأكرع، جمع

كراع: أطراف القوائم. الحال: الثوب
الناعم من ثياب اليمن. الصوار: القطيع
من بقر الوحش. الجمزى: نوع من
العدو. الأجلال، جمع جل: وهو ما
يوضع فوق ظهر الفرس سائراً له.

القرهب: الطويل الضخم من الثيران.
القرا: الظهر. الروق: القرن. الأخنس:
منخفض قصبه الأنف، الذيال: طويل
الذيل. فعاديث منه: عادي بين الصيدين

المرتفع من الأرض. حسن الشارة. جميل
الهيئة.

٢٣ صدف عن الدنيا: زهد فيها. داج: مظلم.

وساج: ساكن والأبراج اثنا عشر برجاً
تقابلها الشمس في طريقها طوال السنة،
المدحاة المدحوة على خلاف القياس وهي

٢٤ المبسوطة. البصائر: جمع بصيرة وهي
العلم والخبرة. ورد الماء: أتاه ليشرب،
وصدر عنه: رجع، ومعناه هنا الموت وعدم

٢٦ الرجوع منه، الغابر: المقيم. العيلة:
الفقر. أجدكما منصوب على نوع الباء،
ومعناه أوجد منكما هذا؟ أو منصوب على

٢٧ المصدر ومعناه مالكما؟ أجد منكما هكذا؟
الكرى: النوم.

٢١ الصدى: الصوت والعقار. الخمر.

العولة: البكاء. الأشلاء: الأعضاء بعد
البلوى والتفرق. والصهاء: الخمر. وأسهتر
في اللهو: أمعن فيه وأسترسل. النجمة:

طلب الكلاً في موضعه. الارتياح: البحث
عن المكان المناسب للانتجاع. وعفوَ
الرأي: عاجله. وأكتظم بإدرتنا أغفر زلتنا،

والبادرة ما يبدو منك عند الغضب.
الوقص: الكسر. والصفاة: الحجر،
والقضم: كسر الشيء بأطراف الأسنان.
والهضم: الظلم.

٢٢ المقلص: الفرس المشرف الطويل

القوائم. والعاتق الكاهل. والنجاد: حمالة
السيف. السابعة: الدرع. وعداء علندي:
فرس طويل شديد. والنهد: الفرس

الجميل الجسم المشرف. والشطب:
جمع شطبة: وهي طريقة السيف في منته.
الجلة: جمع جليل وهي العظام من

الإبل. والنيب: جمع ناب وهي الناقة
المسنة. تجشأ: تكلف الجشاء وهو إخراج

تابع العدو في طلق واحد. فتخاء
الجناحين: ليتها في طول. اللقوة:
السريعة التي تخطف كل شيء. طأطأ
فرسه: وخز. وحركه للعدو. الشمال:
السريعة الخفيفة.

٢٩

الأنيعم وأورال: موضعان. الخزان: جمع
خزن بالضم والفتح: ذكر الأرناب.
حجرت: اختفت في أحجارها. أبيت
اللعن: كلمة يدعى بها للملوك، أي
حفظت مما تلعن به. تستك: تضيق.
الأقارح: بنو قريع بن عوف وكانوا قد وشوا
به إلى النعمان، تجادع - تشاتم: الجوامع
جمع جامعة، وهي الغل في اليد. الأمة:
الدين والاستقامة. لصاب وثيرة: ماء ان
على طريق مكة؛ والألال: جبل. السمام:
طائر أكبر من الخطاف سريع الطيران.
خصوصاً عيونها: ضيقات. رذايا: جمع
ردية، وهي المطروح المتروك من الإبل
الهالك في أثناء الطريق. الحني: جمع
حنية؛ وهي القوس. العر: داء جلدي
يصيب الإبل في مشافرها وقوائمها.
الضالع: الحائر المذنب. السيب:
العتاء. التصريد: الشرب دون الري.

٣١

كنع المسك بالشيء: تراكم ولزق. رث
الجيل: بلي، والمراد العهد. متع
الضحى: بلغ آخر غايته. العصبه بفتح
فسكون: الشجرة تعلق في شيء عال
فتكون كالخيمة عليه، وهو الشجر المتسلق
كاللباب مثلاً. مذود. اسم جبل.

٣٥

الأناب: شجرة. العم: العظيم. المحرم:
الممنوع قطع سوقه. كابة: موضع. لم
تخط: لم تعصب فروعه وتضرب بالعصي
فتكسر. لم يتعضد. لم يقطع. عارض:
اسم أخ للشاعر. رهط بني السوداء
أصحاب أخيه عبد الله. الأحاليف:

المتحالفون على نصرة بعضهم لبعض.
قبلاً: عياناً ومقابلة. غرية: حي من بني
حشم. القعدد: الجبان يقعد عن نصر
قومه. الصياصي جمع صيصاة: شوكة
يسوي بها الحائك نسجه. البو: ولد الناقة
أو البقرة يحشي جلده تبناً فتجد رائحته فيه
فتدر اللبن له. البرم: من لا يدخل مع
القوم في الميسر ضناً بالجزور، وكانوا
يطعمون لحومها للفقراء. تناوحت الرياح:
هبت من كل ناحية، وذلك زمن الشتاء.
العضاه: الشجر الشائك. الضريع: نبات
خيث لا تقربه الدواب. المعضد:
المقطع. كميث الأزارع قصيره، وذلك
كناية عن العفة والنجدة. طلاع أنجد:
كناية عن اقتحام الصعاب. السيد العمرد:
الذئب الشرس في عسلانه، يريد به فرسه.
الشظي: العظم اللازق بالساعد أو الساق.
العبل: الضخم. الشوى: الأطراف.
النسا: عصب يجري في الفخذ والساق.
والشئق: المنقبض، المنقبض. المقلد:
العنق. المصدر: الأسد. الجيل فثمد:
موضعان. طحا به قلبه: ذهب به كل
مذهب. شط وليها: بعد وصالها.

المغمر من الرجال: المحقق الذي
يستجمله الناس. ما أنت أم ما ذكرها؟ ما
استفهامية للتعجب، وأم للإضراب بمعنى
بل أي ما شأنك، بل ما الداعي لذكرها
إياك وهي من ربيعة وأنت من تميم.
القليب. البشر: الجسرة: الناقة القوية:
الرادف: كل شيء يكون خلف الراكب.
الخييب: السير السريع. الوجيب: خفقان
القلب. النهدة: الفرس الحسن الجسم.
البواء: السواء والكفاء. شعصها: ضربها
ونخسها. العادية: القوم يعدون وكذلك
الخييل. سوم الجراد: انتشاره في طلب

حاص عينيه الكرى: خاؤها على
الاستعارة. الشيحان: الغيور على حرمه.
الريئة: الطليعة. تاج: اسم مكان. وما
تمر وما تحلي: أي لا تنفع ولا تضر.

أحساب نيتن مع البقل: أحساب غير أئيلة
أحدثها الغنى. والواسل. الطالب الراغب
من الله. تصفر منها الأنامل: كناية عن
الموت. الحصائل جمع حصيلة: وهي
ما كسبه المرء من حسنات وسيئات. يقسم
أمره: يديره. هبلته أمه: ثكلته وفقدته.
والوائل: الناجي. والموائل: المنجي.
تزعك العوازل: تكفك الحوادث.
الخابور: نهر بين رأس عين والفرات.
والكلس ما يبني به من النورة وأخلاؤها.
الخورنق والسدير: قصران عريبان.
جاهليان: والصبأ: الريح الشرقية.
الدبور: الريح الغربية. وألوت به. ذهبت
به. الكلكل: الصدر. انجل: انكشف.
الإصباح: الصبح. وأمثل: أفضل. مغار
القتل: محكمه. ويذبل جبل في نجد.

الوكنات: الأعشاش. والمنجرد: القصير
الشعر. والأوايد. الوحوش ومعنى قيد
الأوايد أنه يلحقها فيمنعها من الفرار فكأنه
قيدها. والهيكل: الضخم. والمكر: كثير
الكر. والمفر: شديد الفر. الأيطلان:
الخاصرتان. والإرخاء: الجري.
والسرحان: الذئب. والنقريب: العدو
والنتفل: الثعلب. الحدوج: جمع حدج
وهو مركب النساء كالمحفة. والخلايا:
السفن العظام. والنواصب: مسایل الماء
ومجاريه في الجبال. وود: اسم مكان.
عدولية: نسبة إلى عدول، رجل كان
مشهوراً بصنع السفن. وابن يامن: رجل
ملاح كان يتخذ السفن الكبار. الحجاب:
الموج. والحيزوم: الصدر والمفايل:

المرعى. وزعتها: كفتها ومنعتها. سبأ
الخمير: اشتراها. الأيسار: الذين يضربون
القداح في المقامرة. أبله: أبغضه.

شالت نعامتنا: تفرقتا واختلقتنا. الهامة:
فيما يزعم العرب طائر كالبوم يخرج من قبر
القتيل إذ لم يأخذ بثأره فلا يزال يصيح
ويقول اسقوني حتى يثأر له. لاه ابن
عمك: أصله لله ابن عمك فحذفت اللام
الخافضة في لحن الكلام. الديان: القائم
بالأمر، المسغبة: المجاعة. العزاء:
الضيق والشدة. زيد على مائة: زيادة
عليها. سفوان: اسم مكان. والكمأة
الفرسان جمع كمي. الحدثان.
الحوادث. المقاديم: جمع مقدم.
والمرار بالروع هنا الحرب.

أبيض فياض: نقي من العيوب كريم
والمعتفون طالبو المعروف. ما تغب
فواضله: ما تنقطع عطايه. المقامات:
جمع مقامة وهي الجماعة في مجلس
واحد. والانتباب. القصد إلى الموضوع.

المكثرون: الأغنياء. ومن يعتر بهم:
يقصدهم من الفقراء. لم يليموا: لم يقعوا
في اللوم. ولم يألوا لم يقصروا. الخطي:
الرمح نسبة إلى الخط وهي جزيرة في
البحرين شهرت بعمل الرماح والوشيج
شجر الرماح، ومعنى المثل لا يلد الكريم
إلا الكريم. لاح الشيء: لمحاه وأبصره.
واليفاع. التلال. والمقرر: من أصابه
البرد. يصطلبانها يستدفئان بها. والأسحم
الداجي: الليل الشديد السواد. وكف
مبيدة: متلفة. الهجان: البيض الكرام من
الإبل، يستوي فيه السذكر والمؤنث
والجمع. الأوارك: جمع أركة، وهي التي
رعت الأراك. الموماة: المفازة. جحيشاً:
فريداً. والمنخرق: السريع. الشد: العد.

وذوو المثالة: أشراف القوم وكبارهم:
طأطأ من إشرافه: خفض تعاليه.

طلال الخفض: السعة والنعيم. درج
بالنميمة بينهما: سعى بها. كليني:
دعيني. وهم ناصب. متعب. وبطاء
الكواكب: كناية عن طول الليل. أراح:
رد. وعازب: بعيد.

الأشائب: الأخطا من الناس. البيض:
السيوف. الغلول: الثلوم. القراع:
المجالدة. الأحلام: العقول. غير
عواذب. غير ذاهلة ولا غائبة. رفاق
النعال: كناية عن الترف والحجرات جمع
حجزة: وهي معقد الأزاز. طيب الحجزة:
كناية عن العفة، ويوم السباب عيد
الشعانيين، وكان من عادة العسانيين أن
يحيوا ملوكهم فيه برفع أغصان الريحان.
ضربة لازب. أي شيء ثابت لازم.
الجدة: المعنى، ورحب الأناة: حلیم
وراجح الحصة. وافر العقل.

اللفظ الحوشي: ما يتحاشاه الكاتب لغرابته
أو ثقله وهجر الحديث فاحشه وتعمل
الشعر تكلفه.

السحيل. المفتول فتلاً واحداً، والمبرم
المفتول على قوتين، وهما مستعاران
للضعيف والقوي. منشم اسم امرأة عطارة
اشترى منها قوم عطراً وتحالفوا على قتال
عدوهم: وجعلوا آية الحلف غمس الأيدي
في ذلك العطر وقتلوا حتى فنوا. فضرب
المثل في الشؤم بعطر منشم. التلاد:
المال الموروث. والأفال والمزمن
المشروط الأذن. خبط عشواء: تسير على
غير هدى كالناقة التي لا تبصر أمامها.
يفره: يحفظه.

ثقف الشعر: تعلمه وأتقنه. أبيضت عيناه:
كناية عن العمى. الفرق: الخوف.

لاعب الفيال وهي لعبة كان يلعبها صبيان
الأعراب، يخبثون الشيء في التراب ثم
يقسمونه بأيديهم ويقولون: أين هو؟
النفطة: الماء النقي لا كدورة فيه. والمزن
السحاب. والجودي: اسم جبل.
ودامس: مظلم. اللصاب جمع لصب،
وهي شقوق في الجبل. والقارس. البارد.
الكواكب ما طال من النبات، والنبات
العميم: المكتهل التام. والأصل جمع
أصيل آخر النهار. صعر خده: تاه وتكبر.
والعرانين: الأنوف. الميسم: أثر الومس
وهو الكي. استفاد: أقتص. الشجاع:
الحية. صمم: عض ونيب.

ينضحون عنهم: يذافعون، عهد الثقافة:
عهد التلمذة والتدرج.

شام البرق: نظره. والقلل: الجبال والجلل
هنا: الحقيقير.

فصل بالجنود: رحل بها. تهرأ لحمه:
تقطع وسقط. وجفنة مشعفجرة: قصعة

ملأى. وطعنة مسحنفرة: سريعة. مساجلة
الشعراء: أن يتناشد الشاعران بيتاً فبيتاً أو
شطراً فشطراً يبدأ الأول ويكمل الثاني.

المها: بقر الوحش. سقط اللوى: منقطع
الرميل. والدخول وحومل: موضعان في
بلاد العرب.

أزمنت: نويت. أجملني: ترفقي، أعشار
القلب: أجزاءه مقسمة إلى عشرة.
الخليقة: الطبع. وسلي ثيابك الخ كناية
عن المفارقة. كذلك حدى: حظي. جمل
وأعفر: موضعان بالشام. وهوران: كورة
من أعمال دمشق. والأل: السراب،
واللبانات: الحاجات المعنوية. وحماة
وشيزر: بلدان بالشام. والدرب: باب

السكة الواسع وكل مدخل إلى بلاد الروم.
درب الماء التابع الذي لا ينقطع. السراة

خولة: اسم امرأة. هوجاء مرقال: ناقة شديدة السرعة. العتاق: الجوارح من الطير والنجائب من الخيل. الوظيف: مستدق الذراع والسلق من الخيل والإبل وغيرها. المورد المعبد: الطريق الموطوء المستوي. العثون: شعرات طوال عند مذبح البعير. وصهايبة: نسبة إلى صهاب وهو فحل مشهور. موجدة القرا: قوية الظهر. الوخذ: سعة الخطو. مواراة اليد سهلة السير سريعته.

الأتلع: العنق الطويل. التلاع: مجاري المياه من رؤوس الجبال إلى الأودية. استرفد: طلب الرشد وهو المعونة. الحانوت: حانة الخمار. الطريف: المال المكسوب والمتلد: المال الموروث. البعير المعبد: المطلي بالقطران. بنو غرباء: كناية عن الفقراء. الطراف: القبة من الجلد. السدجن: إلباس الغنم الأرض وأقطار السماء. البهكنة: المرأة الغضة. المحنب من الخيل: المنعطف العظام، وذلك مدح له. سيد الغضى: الذئب. يعتام الكرام: يصطفهم، والعقيلة: كرام المال. الطول: الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه، والثنيان: طرفاه، الموت أعداد النفوس: أي بعددها، فلكل نفس موة.

طريقة قومه: كبيرهم ورئيسهم. غمر البديهة: فياض القريحة. انظرنا: أمهلنا. المخاريق: جمع مخراق وهو سيف من خشب يلعب به الصبيان والجهل: معناه الشدة والسفه. لين القناة: كناية عن الذل، الخسف: الظلم والهوان. ارتجلها عفو الساعة: أنشدها ارتجالاً. ينصح عن قومه: يدافع عنهم. ليقيد منها: ليقصص منها. استل من قلبه السخيمة: أخرج الضغن منه.

٤٥ المألكة: الرسالة. وتأتكل: تحترق من الغضب. الأثلة: واحدة الأثل، شجر عظيم صلب وتحت الأثلة: كناية عن القذف والغيبة. وأطت الإبل: أنت وحتت. الوعل: تيس الجبل. فتل جمع فتول: وهو الكثير الفتل. الأرمذ: من به رمد في عينه والسليم: الملدوغ، سمي بذلك تفاقماً ببيئته. والمسهد، الساهر. الخلة: الصداقة. ومهدد: اسم امرأة: تردد الدهر: تغير وتقلب. الكلاله: التعب؛ والضمير في لها يعود على ناقته. ٤٩ والسوجي: وجع الخف ورقته من كثرة السير.

٤٦ تراحي: تستريحين - والفواضل: العطايا. ما تغب ما تنقطع. أغربة العرب: سودانها. مسعر حرب: مضرها ومشعلها. الضر: شد ضرع الناقة حتى لا يرضعها ابنها. ترين على القلوب: تشغيها. يتذاكرون: يحض بعضهم بعضاً على القتال.

٤٧ الأشطان: الحبال التي يرفع بها الماء من البئر. واللبان. الصدر. والأدهم الفرس الأسود. بثغرة نحره: أعلاه. أزور: مال. التحمحم: حنين الفرس ليرق له صاحبه. وبك: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب والكاف للخطاب. الشيطمة: الفرس الطويل والأجرد قصير الشعر. الحتف: الموت. أقني حياءك: الزميه. لا أبا لك: جملة يراد بها التنبيه لا التعنيف. تلاحظوا: نظر بعضهم بعضاً بمؤخر عينه من شدة الهول. معم مخول: كريم الأعمال والأحوال. ساهمة الوجود عابسة. ٥٢ والطوى: والجوع.

٤٨ الحباء: العطاء. أخذ وجهه: سار في طريقه. حاد البادرة: سريع الغضب.

- الأرقام: بطون من تغلب. ويغلون: ٥٣
- يبالغون. وإحفاء: إلحاح. رقص الكلام: ٥٩
- زوره وزخرفه. لا تخلنا على غرائك: أي لا تظن أنا نحفل ياغرائك. ملك مقسط: عادل. الخطة: الأمر. والأملاء:
- الجماعات والمفرد ملأ. الطيخ: التكبير، والتعاشي: التعامي. الحلف: المحالفة. والكفلاء: جمع كافل وهو الضامن.
- الجنح: الذنب. وكندة: قبيلة. الرغاء: ٦٣
- صوت البعير. والنجاء: الإسراع في ٦٨
- السير. والموائل: الهارب الفزع. والحره: الأرض ذات الحجارة السود: والرجلاء الغليظة الشديدة. والطود: الجبل. المعترين: الفقراء.
- ٥٤ مشيع القلب: شجاع. اللزاز: من يلزم الشيء ويعتمد عليه فيه والجشام:
- المتكلف للأمر، والمغذمر: الغضوب في ٧١
- همه. لا يطبعون: فلان يطبع إذا لم يكن له نفاذ في مكارم الأمور. الفساد.
- أفطعت العشيعة: أصيبت بأمر فظيع. ٧٥
- ٥٦ لا تلبق مما تملك شيئاً: لا تبقى. آليت: حلفت. استقره: طلبوا منه القرى وهو طعام الضيف، صرف الحديث: المختلق المزور. السنة: المجاعة. اقشعرت الأرض: تقبضت من عدم المطر. حدبا جدابير. ناقة حدباء. وحدبار: بدت حراقفها من الهزال. ليلة صنير: باردة. تهورت النجوم: أي ولى أكثر الليل. ٨٣
- كسرت البيت: جافيه. وجاء ليته: نحو عنقه.
- ٥٧ ينهنه الزجر: يكفه. الصدى: الجسد من الإنسان بعد موته.
- ٥٨ ترق. تعوذ. الأنى: الحلم، العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة، الأود: الاعوجاج. المسوح: ثياب الرهبان. سقط
- في يده: ندم. أوهاق المنية: حبالها.
- نابى القافية: قلقها. اليافع: الغلام إذا نزع وشارف البلوغ. وتعل: تسقى المرة بعد المرة. وتنهل: تشرب أول الشرب. المطروق: المصاب.
- الحميم المكظوم: الماء الحار المحبوس. الإيلاف: رحلتان تجاريتان لقريش في الشتاء ليمن وفي الصيف لهوران. يؤرثون النار: يشعلونها.
- الجزع بالفتح: الخرز اليماني والصيني فيه بياض وسواد. منجماً: مفرقاً مجزئاً على حسب الحوادث.
- المصاعد جمع مصدع: وهو البليغ القومي. السكات والحصر: العي والعجز.
- أحلاماً طافية عقولاً طائشة.
- العسب جمع عسيب. وهو جريدة النخل قد نزع خوصها: واللخاف: حجارة بيض رقاق.
- المنبت: المنقطع عن أصحابه في السفر. الظهر: الدابة. الجمل لأنف: لمخزوم: تشدق الرجل: لوى شدقه للتفصح. تفهيق في كلامه: توسع وتنسطح. الفرس الشموس: الذي لا يمكن أحداً من ظهره، وضده الذلول.
- الصفق في الأسواق: البيع والشراء. أنغض رأسه إليه. حركه تعجباً واستهزاءً.
- الغرزمة. أول عهد الشاعر يصنع الشعر. أشفى على الخطر: أشرف عليه.
- المزاء (بالضم): اسم للخمر اللذيذة الطعم. السكر (بفتح السين والكاف): نبيذ يتخذ من التمر والتوت.
- القطين جمع القاطن. وهم أهل الدرا. الغوارب: جمع غارب، وهو الكاهل. المسطار: الخمرة الصارعة لشاربها.

- ٨٨ الفتاة الخفرة: الحبية. الأتن: جمع أتان. أصل الصليان وهو من البقول.
- ١٠٧ البوادر: الشدة. منوا بدء السياسة: أصيبوا به.
- ١٠٨ كأساً روية: ملأى. وبب غيرك، الويب كالويل وزناً ومعنى، لعا لك: دعاء للعائر لينهض. فوز: مات.
- ١٠٩ الآلة الحدباء: النعش. تنهه دموعها: تكفكفها.
- ١١٠ الجرس هنا بمعنى النغم. أمثل قومه: أشرفهم. تعرقني الدهر: من قولهم تعرق العظم أخذ ما عليه من اللحم نهشاً بأسانه.
- ١١١ الخز: الحرير. والبز: الكتان.
- ١١٢ مغلغلة: رسالة. عبد الدار: قبيلة. لا يطبعون: لا يفسدون.
- ١١٣ جلق: اسم دمشق. وشم الأنوف: كناية عن الشهامة.
- ١١٤ الجنب. الغريب. متحي وأمراسي المتح: إخراج الماء من البئر. وأمرس البكرة. أعاد حبلا إلى مجراه. الآسي: الطبيب. الأرماس: القبور. هرتة الكلاب: نبخته. العرف: المعروف.
- ١١٥ الحفيظة: الغضب، خلا ذرعه: فرغ باله. العواتق: الأرانس.
- ١١٦ نوطة: تعلق. تبع نساء: يزور النساء ويتبعهن. يخصر: يبرد.
- ١١٧ توألت: طلبت النجاة: أريتك: بمعنى خبرني. تغور النجم: أفل. الكاعب: الفتاة الناهد. والمعصر من بلغت شبابها. المشاش: رؤوس العظام.
- ١١٨ سليلت اللسان: بذيته.
- ١١٩ العارم: الشد. والذکرد: الشديد القتال. حشد على الحق: سراع الإجابة عند النداء. عيافو الخنا: كارهون للفحش. أنف: أباة الضيم. شمس العداوة: ألداء
- ٨٨ أنثى الحمامار. الأعيار: جمع عير، وهو الحمامار.
- ٨٩ رجلي ترعية: يجيد وعارية الإبل الهراش: الخصام والقتال، وهو مستعار من هراش الكلاب. القلف: عدم الاختتان.
- ٩١ القرمل: شجر ضعيف لا شوك له وينفضخ إذا وطىء. الفياش: فخر الرجل بما ليس عنده. صغى البعيث: مال وخضع. اللأمة: الدرع.
- ٩٢ ابن اللبون: ولد الناقة إذا استكمل العام الثاني. لز في قرن: شد في حبل. البزل: جمع بازل وهو البعير انشق نابه بدخوله في السنة التاسعة. القناعيس: جمع قنعاس: وهو العظيم من الإبل.
- ٩٤ كسعه: ضرب دبره بصدر قدمه وطرده. الففل (بالفتح): الغنيمة. كاس الذيفان: السم.
- ١٠١ طارت نفسه شعاعاً: تبددت من الخوف أو نوحه. لن تراعي: لن تفزعني. والخنع: الذل. واليراع: الجبان.
- ١٠٢ يعتبط: يموت من غير علة. سقط المتاع: رديته. الشليل: الدرع. أجم المعروف: كرهه. والعوراء: الكلمة القبيحة. وكره: تتابعه. للندی والسدى: رطوبة الجو، والمراد بهما المعروف. والخود: المرأة الناعمة. وعقبة القدر: ما بقي فيها من المرق وذلك كناية عن الحدب. الفنن: الغصن. الورقاء: الحمامة.
- ١٠٣ تخرموا: هلكوا. المروة الحجر. يفغمني: يسد خياشيمي. فشاوول بقيس: دافع بهم ومارس.
- ١٠٥ ميعة الحب: أوله وأصله. والغماء: الشدة. المناوح: المفاوز.
- ١٠٦ لا طباخ لهم: لا فائدة ولا قوة. والدندن:

من الأرض. الدخاخ جمع دخص وهو
المزلق. الأحفاص: جمع حفص وهو
البعير الضعيف: استعاره هنا للجبان.
الثأي: الصدع.

١٢٨ ورأيه: أصلحه. العين: الماء الجاري.
لوث العمامة: لفها وتكويرها.

١٢٩ ظم حياته. من يوم ولادته إلى يوم وفاته.
يحبو للسادة: يقاربها. أخلى ذرعه:
أفرغ باله.

١٣٠ الكل: العباء. المربوع والربعة: الرجل
بين الطول والقصر، المشذب: الشديد
الطول في نحافة لشعر الرجل: الذي كأنه
مشط فتكسر قليلاً ليس بسيط ولا جعده.

القيقة: شعر الرأس والمراد إن انفرت من
ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة.
الحاجب الأزعج: المقوس الطويل الوافر
الشعر. القرن: اتصال شعر الحاجبين
وضده البلج. أفنى العرفين: سائل الأنف
مرتفع الوسط.

١٣١ الأدعج: الشديد سواد الحدقة: كث
اللحية: كثيفها. ضليع الفم: واسعها.

الأشنب ذو الشنب وهو رونق الأسنان
وماؤها. والفليج: فرق بين الثنايا،
المسرية: خيط الشعر الذي بين الصدر
والسرة. الدمية: المصورة من العاج.
البادن: ذو اللحم المماسك الذي يمسك
بعضه بعضاً. الكراديس رؤوس العظام.

شن الكفين والقدمين: غليظهما
ولحيمهما، سائل الأطراف: طويل
الأصابع. خمصان الأخمصين: متجافي
أخمص القدم والأخمص هو الموضع
الذي لا تناله الأرض من وسط القدم.
مسيح القدمين: أملسهما. التقلع: رفع
الرجل بقوة. التسكفؤ: الميل إلى سنن
المشي وقصده. الهون. الرفق والوقار.

الخصام. مجلله: عامة. المساحي:
الفؤوس.

١٢١ مقذع: مفحش. نكباء حرجف: ريح باردة
شديدة الهبوب. الصقيع: الثلج. سروات

النيب: ظهور الجمال: ونطف الرجل:
اتهم بريية. والعييط اللحم. القعساء:
العزة. المصير، واحد المصران: الأمعاء.
والألق: الجنون أو شبهه. بحمرء
الفروع: نار القرى.

١٢٢ ينجاب: ينكشف. والقتم: الغبار. صعر
خده: أماله عن الناس كبراً. الأخاذ.
جمع أخدع وهو شعبة في العنق من
الوريد.

١٢٣ يرامي قرنه عن كذب: ينازل خصمه من
قرب. اللقحة: الناقة. والرعاء: جمع
راع. أرث النار أو الحرب: أضرهما.

١٢٥ المقرف: النذل ومن أبوه غير عربي.
والوزار: كثير الإثم. كبش الجحفل: قائد
الجيش. نقض مرة: وهن قوة. التطين:
الخدم والحشم والأبتاع. السميت: هيئة
أهل الخير.

١٢٦ الضراعة: الذل. الكرايس: جمع كرباس
وهو الثوب الخشن الغليظ من القطن.
رغيب العين: طماع.

١٢٧ العنجهية: الجفوة والخشونة. الاعتراض:
صعوبة المراس. ريق الغرة: رونق
الشباب. والبياض الشيب. تنوص:
تتحرك. صيدحي الضحى: الصياح الرفيع
الصوت. الأباس: القيد. السيتاة:
الحرية من كل شيء وغرضه الناقة.
أمارت: أسالت، الكراض بالكسر:
الفحل، القوداء: طويلة الظهر والعنق.
أنفجت بالبناء للمجهول: رفعت.
الزحاليف: جمع زحلوفة وهي المكان
المنحدر المملس. الصفصف: المستوي

- ذريع المشية: واسع الخطو. من صيب: ١٣٧ ركلها: رفسها برجله.
- من علو. بختمه بأشداقه: يستعمل جميع ١٣٨ ضربت فيه بعرق أشب: أي ذي التباس فنبسه غير صريح. الرأي الجميع: الشفتين. يند: يفرد ويشرد.
- مات حتف أنفه. مات على فراشه لأن ١٣٩ العرب يزعمون أن روح المريض تخرج من أنفه فإن جرح خرجت من جرحه. حمي الوطيس. اشتدت الحرب، والوطيس: التنور أو المعركة. هدنة على دخن: سكون لعله لا لصلح والدخن: الحقد. رفقاً بالقوارير: جمع قارورة. وهي المرأة تشبيهاً لها بالزجاج لضعفها. الختن: زوج البنت أو زوج الأخت. لحنه أخته: لامته.
- شاهت الوجوه: قبحت. الدهماء: عامة ١٣٣ الناس. الغلس: ظلام الليل. السبال. جمع سبلة وهي طرف الشارب.
- أس بين الناس: ساو بينهم. الغلق: ١٣٤ الضجر والغضب. أقدعوا النفوس: كفوها وأردعوها.
- ناوس الحرة ثم سالمها: الحرة خشبة في ١٣٥ رأسها كفة تصاد بها الطباء، وناوصها الطيبي. حابذها ومارسها. يضرب هذا المثل لمن يخالف القوم عن رأيهم ثم يرجع إلى قولهم ويضطر إلى الوفاق. استوثق الأمر: أمكن وانتظم.
- الداء الدوي: الدفين الذي لا يطب له. ١٣٦ والنزعة: جمع نازع وهو رافع الماء من البئر. الأشطان الحبال. والركي: بشر غير مطوية. اللقاح: النياق. مرهت عينه: ابيضت حماليقها. عض الأيدي: كناية عن الندم. يسني لكم طرقه: يمهدها. خيل شمس: جمع شمس وهو الذي يمنع ظهره ولا يكاد يستقر. والذلل جمع ذلول وهو المروض الطيع.
- ١٣٧ ركها: رفسها برجله.
- ١٣٨ ضربت فيه بعرق أشب: أي ذي التباس فنبسه غير صريح. الرأي الجميع: الحازم. واللسان الدرب: الحاد.
- ١٣٩ لم الشعث: جمع المتفرق. دلج الليل: سير آخر الليل للغارة. كنس كنوسا: تغيب واستتر. ومكانس الريب: محال المنكر. جعلت ذلك دبر أذني: لم أصغ إليه ولم أعرج عليه.
- ١٤١ تنكب قوسه: حملها على منكبه. ذيم: اسم فرس أو ناقة. لفها. جمعها. حطم: مسرع. الوضم: خشبة يقطع عليها اللحم. العصلى: الشديد. الأروع: الذكي. الدوي: الصحراء. والخروج منها كناية عن الخبرة والصبر والجلادة كقولهم: طلاع الثنايا. العرد: الشديد. البكر: الفتى من الإبل. الشنان: جمع شن وهو الجلد اليابس يعلق في الخباء فإذا دنت الإبل منه حرك فنفرت من صوته (أي لا يخاف مما لا يخيف) فرت: أي اختبرت فوجدت ذكياً. الكنانة: جعبة السهام. عجم عيدانها: عضها لينظر أيها أصلب. أمرها: أقواها. الإيضاع: نوع من السير.
- ١٤٢ السلمة: شجرة القرظ تعصب ثم تخبط بالأرض أو بالعصي ليسقط ثمرها. ومعنى الجملة أنهم كهذه الشجرة لا ينتفع منها إلا بالشدة. غرائب الإبل تضرب أشد الضرب عند الهرب. وعند الخلائق لا أخلق: لا أقدر ولا أفضل. فريت: قطعت.
- ١٤٣ الألوية السود: أعلام العباسيين.
- ١٤٤ تحور: ترجع. الأفويق: جمع فيقة وهي اللبن. رمحتنا: رفستنا الطير. بارحة: كناية عن سوء الحال. الأسار: القيد.
- ١٤٥ أوسطهم داراً: كناية عن السؤدد والشرف.
- ١٤٦ لا تنقسوا: نفس عليه خيراً: حسده عليه

الأعضاء. والحاجب: الخادم. والعين:
الذهب. والراحة ضد التعب. صلد الزند:
كناية عن الخيبة. اليمين: القوة. واليسار:
الغنى. المرافق ما يرتفق به. الثنية: الفتية
من النوق. والناب: الناقة المسنة. العيش
الأخضر: كناية عن المعيشة الطيبة
والمحبوب الأصفر: الذهب. فودي:
جانب رأسي. والعدو الأزرق: الشديد
العداوة. الموت الأحمر: القتل بالسيف.
احتجن المال: ضمه إلى نفسه. تقفعت:
تقبضت. الحلة: الحاجة النقص.
الأساود جمع أسود: وهو العظيم من
الحيات. الفادح: الثقيل. والعياء الذي لا
يرأ منه. يماري: يجادل. وينازع. وبذ:
غلب. وعادياً: واثياً. ويدلي: يحضر
ويحتج.
أثيراً: مقرباً. الفالج: داء يحدث في أحد
شقي البدن فيبطل إحساسه. تبلغت به
العلة: اشتدت. مجانية: مزاح وهزل.
فل: ثلم. وشبابة: حد، على رسلي برفق
وتؤدة.
لساجلتك. باريتك وعارضتك. المصارمة:
المقاطعة. يدبل: أдал الله فلاناً من فلان
جعل له الكرة عليه. القلى: البغض.
الجادة: وسط الطريق. البنيات: الطرق
الصغار تتشعب من الجادة. الجهارة:
حسن القد والمنظر. يتنيل: يتشبه بالنبل.
المدارج: الطرق. يتوقل: يتصعد.
اضطلع بكذا: احتمله ونهض به.
عشارها: جمع العشاء للناقاة متى مضى
على حملها عشرة أشهر. القولنج: مرض
مؤلم من أمراض المعدة. النقرس داء يأخذ
في أصبع الرجل.
الديباجة هنا حسن الأسلوب. الوشي:
نقش الثوب من كل لون. الغرار: المثال

ولم يره له أهلاً. تتسللون لوأذاً: تهربون
خفية. الظليم: ذكر النعام.
أحمرها وأسودها: عجمها وغربتها. تعنو:
تخضع. وتحب القلوب: تخفق. داخرين
له: أذلاء. الجريرة: الذنب: فسودوا
كباركم: اجعلوهم سادة لكم. المسألة:
سؤال الناس استجداء.
ضم نشرهم: جمع متفرقهم.
ينمون: ينتسون. وقسراً: غضباً وقهراً.
ثل: هدم. آرية نسبة إلى الأريين وهم
قدماء الجنس الهندي الأوربي.
الفلج: النصر الكبث. الإذلال: الجنة:
طائفة من الجن.
قمع: قهر وذلل.
تلكأ: أبطأ وتوقف. المزوجة: اتفاق
الكلمات وزناً لا رويأ. الملح جمع ملح
وهي ما حسن من الأحاديث.
العظام: الشدائد. والسخائم: الضغائن.
أشكيناك: أزلنا شكايك وأعتيناك: قبلنا
عتابك. الحفيظة: الغضب والموجدة.
عروة هذا القميص. يريد الخلافة. خبيء
الغمد: السيف. العرفج: شجر سهل وهو
القتاد. الهلوك المرأة التي لا تملك نفسها
عن زوجها. الآن: ظرف متعلق بأمن أي
الآن أمن الأحمر والأسود.
باب الأبواب: ثغر من ثغور بحر قزوين
وكانت مدينة شهيرة تعرف الآن بدريند.
الغارب: الموج. تحوذ: تسوق. وملكننا
البحر: توسطناه. البحرين: البحر
والمطر. الثمال: من يعول عليه.
وسروات: جمع الجمع لسري وهو
السخي ذو المروءة وسريات جمع: سرية
وهي الرفيعة القدر. القلب: العسكر.
والظهر: الدابة. واليد: النعمة.
والأعضاء: الأعوان. والجوارح:

- الذي تضرب عليه النصال لتصلح . يمت : ١٧٩ التنويل : العطاء . الاعتمار : القصد والزياره .
- ١٨٠ المسغبة : الجوع . غلول : خيانة . استئصالك : اصطلامك .
- ١٨٢ مؤاتاة : مساعدة . الأخبية المطبنة : الخيام المضروبة .
- ١٨٣ يتقيلون : يتشبهون ، تجرم : نقضي . عييت : عجزت . مهلهلة النسخ : سخيته .
- ١٨٤ أشرع الرمح . شهره . البنود : الأعلام . الكماة : الأبطال .
- ١٨٥ حسبة : إدخاراً عند الله . الأطمار : الثياب البالية . الأبق : الهارب .
- ١٨٦ النواطير : جمع ناطور وهو حافظ الكرم والنخل . يشمن : امتلأت بطونهن .
- الصيد : جمع صيد ، وهو الشريف العزيز . جدا كل جيس : أعطاه كل بخيل دنيء : بلغ . جمع بلغة وهي ما يتبلغ به من المعيش : صباة العيش : بقيته وأخرته . طفقتها : نقصتها .
- ١٨٧ الرحل هنا : المنزل . وحضرت الهموم رحلي : طرقتني . المدائن : مدائن كسرى وهي إلى جنب بغداد . الأبيض : إيوان كسرى : والعنس : الناقة الصلبة . درس : قفر . خافضون في ظل عال : منعومون في قصر مشيد . يحسر العيون ويخسي : يردها حاسرة خاسئة لارتفاعه . خلاط ومكس : مكانان . حلل : جمع حلة ، وهي مكان النزول والقرية . البسابس : القفار . عنس قبيلة من اليمن : والبحتري طائي يماني . غدون أفضاء ليس : صرن باليات . الدرفس : راية الفرس . إغماض جرس : سكوت . المشيخ : البطل . يغتلي ارتياحي : يزداد . وتقرهم : تفحصهم ، أبو الغوث : ابن البحتري . ولم يصرد : أي لم يسق دون الري . والعسكران : مكان . اللخس : أخذ الشيء في نهزة ومخاتلة . أضوا
- ١٧١ حلي بصدرك : أعجبك سريع : مسجل . الحشاشة والذماء : بقية الروح في جسم المريض : البرحاء : شدة الأذى والمشقة . أعضلنهن : عضل المرأة حبسها عن الزواج .
- ١٧٣ الغلواء : السرعة والذهاب إلى الغاية . مني : أصيب .
- ١٧٤ شام البرق : نظره . الإيماض : البريق .
- ١٧٥ عوارف : جمع عارفة وهي الصنيع والجميل . ألقى عصاه : كناية عن الإقامة بعد الظعن .
- ١٧٦ عفو الساعة : بسرعة من غير كلفة . ابن بجدتها : العالم بالشيء المتقن له . والبيجة باطن الشيء . الكدية : التسول . السماط : الشيء المصطف وما يوضع عليه الطعام . الأشرط : العلامات .
- ١٧٧ المقة : المحبة . دخلة الرجل نيته ومذهبه . النحلة : النوع أو المذهب . الأزرق : الظهر والقوة . التولب : الخنزير : أقني حياءك : الزميه . خزا ويزأ : حريراً وكتاناً . مطارف : جمع مطرف وهو رداء مربع من الخبز في طرفيه علمان . تعزى : تنسب . العافون . جمع عاف وهو طالب الرزق .
- ١٧٨ خضرة الدمن : ما نبت في المزبلة من العشب . المعيدي : رجل من معد يضرب به المثل في حسن الصيت وقبح المرأى . الغلائل : جمع غلالة وهي الثوب الرقيق ، الأحاجي : جمع أحجية وهي الكلمة المغلقة يتحاجى الناس بها .

الليل: أضاءه. الجوب: الكانون والمكان
الوطيء وأرعن جلس: جبل شاهق. يتظنى
الخ... يظنه القادم عليه إنساناً مزعجاً
بفراق حبه أو بتطليق زوجته.

٢٠٠ الصهباء: الخمر. الاصطباح: شرب
الخمر صباحاً: المها: جمع مهاة، وهي
البقرة الوحشية. تدربها: تختلها.
القلانس: جمع قلنسوة وهي من أغطية
الرأس كالقبعة. تهز بالدلو: ضرب بها في
الماء لتمتلىء. أسمت: أرعيت.

٢٠١ السراج: الماشية السائمة. السراة: جمع
سري وهو الشريف السخي. الطيرة: ما
يتشام به من الفأل الرديء. المهرجان:
عيد الفرس. القيان: جمع قينة وهي
المغنية، النكتة: النقطة البيضاء في
الأسود. الخلصان: الخالص من الأخذان
يستوي فيه الواحد والجماعة. يلحون:
يلومون.

٢٠٣ الأذريون: زهر أصفر في وسطه خمل أسود
وهو عباد الشمس. الغالية: أخلاط من
الطيب. الدكن: جمع أدكن، وهو المائل
إلى السواد. الخود: المرأة الشابة. يدحو:
يسط. قوراء: متسعة. الرشاء: الحبل.

٢٠٤ رنتث، مستعار من رنق الطائر إذا خفق
بجناحيه ولم يطر. الورس: نبات كالسمسم
أصفر يزرع باليمن ويصنع به. مزعزع،
محرك. شول: نقص. تشعشع العمر:
تقضى إلا أقله. صور: جمع صوراء؛
وهي المائلة الملتفتة. روان: نواظر، بين
هنا: بمعنى تبين أي ظهر. ومنه المثل (قد
بين الصبح لذي عينين) مشعشع: مخلوط
بعضه ببعض. أذكى: عطر. ريعان ظله:
وارف ظله. ربعي: نسبة إلى الربيع.
حشث: حرك. الصنج: صفيحة مدورة
من الصفر يضرب بها على أخرى للطرب.
شدوات: تغريد.

١٨٨ الدمقس: الحرير. ورضوى وقدس:
جبلان. البرس: القطن. النكس:
الوضيع. ووقوف: جمع واقف. وخنس:
مسترون. القيان: المغنيات. يرجعن:
يفنين وحو ولعس: جمع حواء ولعساء
لسوداء الشفة، وكانت صفة مستحسنة.
غير نعمى لأهلها عند أهلي: يشير إلى
قصة سيف بن ذي يزن وأستعانته بكسرى
في طرد أرباط ملك الحبشة من اليمن بعد
أن ملكها، والبحثري كما نعلم يماني.
السنخ: الأصل. حالية العذارى، لابسة
الحلي منهن. الجديدان: الليل والنهار.

١٨٩ الشمالال: الناقة السريعة. لم أعتمد أي لم
أتعمد.

١٩١ قد حال في: تغيير. الطرق: الماء حوضته
الإبل وبولت فيه.

١٩٢ اللكنة: العجمة والعي. النزق (بالضم):
الخمر. النقع: الغبار.

١٩٣ الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت.
نافقة: رائجة.

١٩٤ نفسي: فرجي وخففي. صعر خده. أماله
عن الناس من كبر. السليقة: الطبيعة.
الأتون: أخدود الجبار والجصاص.

١٩٦ الوظيفة: المرتب من مال أو طعام. وفرة
جعدة: الوفرة ما سال على الأذنين من
الشعر، والجعدة ما كان فيها التواء
وتقبض.

١٩٧ اليم: البحر. الال: السراب. تحيف:
تظلم. مخايل: دلائل على النجم.

١٩٨ نفق عنده: حظي لديه. دالة: جراءة.

١٩٩ ضرب على وتره: جرى على طريقه.

ومعلمو ركوبها. أفعم وطابه: ملاً وعاءه.
 أخلاف: جمع خلف وهو حلمة ضرع
 الناقة. أشلى عليه الكلب: أعراه به. لم
 يقم له وزناً: لم يحفل به. يطيش سهمه.
 يخيب. الإحالة: التكلم بالمحال.
 الثقلان: الإنس والجن. تتيمة: تذللته
 وتخضعه. كميته الخمر: ما فيها سواد
 وحمرة. يسيبه: يفتنه: قرن الشمس:
 قرصها. لصطنعه لنفسه: اخص به.
 لواعج: جمع لاعج وهو الهوى المحرق.
 المرار: آخر الشهر وهو المحاق. الإسار:
 القيد. الإهاب: الجلد. الحسو: الشرب
 شيئاً بعد شيء. الطنبور: آلة للطرب ذات
 عنق طويل وستة أوتار من نحاس. لا يزكو
 به: لا يليق به. يزمصون شعره: يبتذله.
 ٢٢٣ العراء: الفضاء. العباب: معظم الماء.
 ٢٢٤ معصفر: مصبوغ بالعصفر وهو نبت أصفر
 يصبغ به. عاج: مال.
 ٢٢٦ العير حمار الوحش. ساف: شم.
 الخزامى: نبت طيب الرائحة. العود
 المسن من الإبل. أديم الأرض: سطحها.
 الرفات: ما يلي من العظام. الفرقدان:
 كوكبان متلازمان. المدلج: السائر آخر
 الليل.
 ٢٢٧ الشرى: مأسدة جانب الفرات. الصلال:
 جمع صل وهو الحية الخبيثة. المسودة:
 هم العباسيون لاتخاذهم السواد علماً
 وشعاراً.
 ٢٢٩ الفلق: الصباح. الأرق: السهاد والسهر.
 ٢٣٠ السدف: شدة الظلام. تمر بها: تستدرها.
 القيان: المغنيات. اللهوات: جمع لهاة
 وهي أقصى سقف الفم. ذو النون: يونس
 عليه السلام. والنون الحوت. الجداء
 جمع جدي. السراحين: جمع سرحان
 وهو الذئب. مبغوم النداء: لم يفصح عما

٢٠٥ الغلالة: الثوب الرقيق.
 ٢٠٦ الحندس: الظلام. المنجل: آلة الحصاد.
 حلئت: منعت.
 ٢٠٩ أسرار الوجه. الخطوط التي في الجبهة.
 الجادي: الزعفران. نسبة إلى الجادية قرية
 بالشام. أنماط: جمع نمط وهو ضرب من
 البسط. الاستبرق: غليظ الديداج.
 النشزات الأمكنة المرتفعة. الفيصل:
 اللسان مجازاً. أعتق: طويل شامخ.
 ٢١٠ ماله عليه: ساعده: العطل: الخلو من
 الزينة. شرع: سواء. رآد الضحى: أوله.
 الطفل: قبيل الغروب. الرسم: نوع من
 سير الإبل. الأنيق: جمع ناقة. المحتد:
 الأصل. المحتدي: طالب العطاء.
 أكب: أذل. الغضاضة المنقصة.
 ٢١١ فكأن قد: كأنها قد زالت.
 ٢١٢ الأربيع الأدراس: المنازل المقفرة.
 المشكاة: الكوة غير النافذة.
 ٢١٣ النبراس: المصباح. حصف عقله: قوي.
 الكلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم.
 أجياد الكواعب: رقاب الحسان. القتاد:
 شجر شائك.
 ٢١٤ الوفز: المال الكثير. مخلق لديباجتيه: ميل
 لصفحتي وجهه، وذلك كناية عن
 الابتذال. سرمد: دائم. يفتح: يثقل.
 فجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع بين
 جبلين.
 ٢١٥ يتزاور: يعوج ويميل.
 ٢١٦ الغث من الكلام. التافه. الحبك:
 الطرق، جمع حبكة. الجواشن: الدروع.
 ريق الغيث: أوله. لجب: ذولجب وهو
 الصوت. تدعى: تنتسب. العثير: الغيار.
 الحدود: الأحكام الشرعية.
 ٢١٨ عقود عمره: عقد العدد عشرة. يتجشم:
 يتكلف الصعب. الرواض: مذلولو الخيل

في الشفة. الوعاء: رابية من رمل لينة.
 الرضاب: الريق. الليل مشط الذواتب:
 لاح فجره. الجوزاء: برج من أبراج
 السماء. انكدرت الشهب: هوت
 وتساقطت. الافرند: جوهر السيف
 وشيه. الربطة: الملاءة.
 ٢٥٠ همى الغيث: سقط. الحيا: المطر. الثوب
 المعلم: المنقوش، كتن فيه: ستر. برماً:
 ضجراً. العفاء: الهلاك واليلي.
 ٢٥٢ الدبر: جماعة النحل. الضرب الهبر أن
 ينقطع منه اللحم لشدته. السياق: النزاع
 والاحتضار. الاستنان: من استنان الفرس
 وهو قمصه وعدوه ونشاطه.
 ٢٥٦ الصبوح: الشراب صباحاً. الأيك: الشجر
 الملتف الكثير. المخلق: المعطر
 بالخلوق. الجاذر: جمع جؤذر وهو ولد
 البقرة الوحشية.
 ٢٥٧ الظلم (بالفتح): الريق. الشذا: الرائحة.
 الإثم: الخمر مجازاً.
 ٢٦٢ المرزأة: المصيبة. الغفوة: النوم. الروح
 (بالفتح) المساعدة. الإيوان: الصفة
 العظيمة. الأوار: اللهب. موقرة: محملة.
 ٢٦٣ تجهم لها: اسقبلها بوجه كرية. يتقلص:
 ينزوي ويتراجع. اللسن: الفصاحة.
 خامره الداء: خالط جوفه. استشرى
 الفساد: تفاقم وعظم. المشارع. موارد
 الشاربين.
 ٢٦٥ قبع في كسر بيته: انزوى وأحتبس.
 براذين: جمع برذون وهو دابة دون الفرس
 وفوق الحمار.
 ٢٦٦ حياء: عطاء. تقية: مداراة. حدباً عليه.
 عطفاً عليه. سليط اللسان: طويله
 وحديده. التنطس: التأثق في كل شيء.
 عني: كلف العناء. من مليه: عدد له ما
 أعطاه. راش: أغنى: النشب. المال.

يريد. بأسو الجرح: يضمده. أخياف:
 مختلفون. خاسوا: نكسوا وعذروا،
 انتهاس: نهش. انجاس: انفجار. همع
 الدمع: سكب.
 ٢٣٣ الريم: الغزال.
 ٢٣٥ الجمانة: حبة من فضة على شكل اللؤلؤة.
 ٢٣٦ الرشأ: الغزال الأبيض. الرديني: رمح
 منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تنقف
 الرماح. الشطب: خطوط السيف.
 الصوادي: العطاش. يطى: يستهوي.
 ٢٣٩ شوازيماً: مرتفعات. خزرأ: جمع أخزر وهو
 ضيق العين. حشرة أذائها لطيفة صغيرة.
 قب الأباطل: ضامرات البطون والخصور.
 الأنسر جمع نسروهي لحمة في باطن حافر
 الفرس من أعلاه. الخلوq: الطيب.
 ٢٤٠ الثلثو: بقية الجسم المأكول. القسور:
 الأسد.
 ٢٤١ ذات بينهما: الصلة والقربة. ضافية الذيل:
 طويلته.
 ٢٤٢ التأسى: التجلد. أنبت: انقطع.
 النسرين: ورد أبيض عطر قوي الرائحة.
 الزقوم: شجرة في النار يطعم منها أهلها.
 والغسلين: ما يسبل من جلود أهل النار.
 ٢٤٣ النساء: الرفعة والسنى الضوء. القذال:
 مؤخر الرأس. العلاوة: أعلى الرأس أو
 العنق.
 ٢٤٤ يمتاح فضله: أتاه يطلبه. الفنك: دابة
 يفترى جلدها أي يلبس فرواً.
 ٢٤٦ مسجور: ملآن. سرجت أغصانها: امتدت
 وطالت. تفري: تكشف.
 ٢٤٧ الخضارم: البحار.
 ٢٤٨ اللمى: الريق. المجرة: نجوم كثيرة لا
 ترى بمجرد البصر، وإنما يتشر ضوءها
 فيرى كأنه خط أبيض.
 ٢٤٩ الشنب: بريق الأسنان. واللعلس: سمرة

- ٢٦٧ السواد: ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى، النبط: جيل من العجم ينزلون بالبطائح من العراقيين وقيل إنهم عرب. يتخرجون: لا يرون فيه حرجاً ولا بأساً.
- ٢٦٨ لآخذت عليه: آخذته. مراغ: مذهب.
- ٢٦٩ أرادته على كذا: حملة عليه. التجبيه: المقابلة المكروه.
- ٢٧٣ الخبز القفار: غير المأدوم. السارية: العمود.
- ٢٧٥ الغضا: شجر عظيم من الأثل. غض: طري. الجنى: الثمر. تقتحمه العين: تزديه: انساغ: سهل دخوله في الحلق. اللها: جمع لهاة لما بين مقطع أصل اللسان إلى أقصى الحلق.
- ٢٧٧ أصفاه: أسبغه وأطاله. مهاواة للملوك: مسابرة لهم. المسكوكات: النقود. والسجلات: الأوراق الرسمية. العاديات: الأشياء القديمة نسبة إلى عاد. أغفال الرواة: جمع غفل لغير المجرب. المفتريات: مختلفات الأحاديث. الجرح والتعديل في الحديث: تنقص الراوي أو تزكيتة.
- ٢٧٨ كل عليها: عبء. الجد العائر: الحظ السيء.
- ٢٨٠ الربعة: لا بالطويل ولا بالقصير. يرتضخ: ينزع إلى العجم في ألفاظ من ألفاظهم.
- ٢٨١ أحفظ: أغضب. ما عتم: ما لبث. اليقين: الموت. حسن البزة: حسن الهيئة.
- ٢٨٢ انفسح درعه: طال باعه، أندر: أتى بالنادر. السم: هيئة أهل الخير.
- ٢٨٤ انضوى إليه: انضم. جاهر. أمضى الركائب في طلبها: أطال السفر في البحث عنها. حدها إلى كذا: دعاه إليه. العامية: الحائرة. ظهراء: نصراء.
- إشراف: تعالي. بشكائم: الشكيمة الحديدية المعترضة في فم الفرس. غفلا: لم يسم واضعوها. الدثور: الدروس. الدهماء: جماعة الناس.
- ٢٨٥ ولا بدع: لا غرابة.
- ٢٨٦ نكل عنه: نكص وجبن: أبيقوري: شهواتي نسبة إلى أبيقور أحد فلاسفة اليونان. مستهتر: لا يبالي بما فعل.
- ٢٨٧ خاتناه: مكان الصوفية. توسط باحتها وشارف غايتها: كنياتان عن التضلع منها. شخص: ذهب. التناسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر، تقمصت: انتقلت أولبست.
- ٢٨٨ الحولية: فرقة من المتصوفة تقول إن الله حال في كل شيء متحد بكل جزء وتجاوز أن يطلق على كل شيء أنه الله.
- ٢٩٥ انتكث فعله: انتقض أمره. الأرزاء: المصائب، عفى على اللغة: محاها. النعرة: الخيلاء والكبر. الردء: العون، الوزر: الملجأ.
- ٢٩٦ رفقت عليه المنية: رفقت عليه كالمطائر، والذماء: بقية الروح. الأرضة: دوية تأكل الخشب والكتب. وزحوا: هلكوا من الإعياء. أغطشت. أظلمت، دياجير: جمع ديجور وهو الظلام. شارق: كوكب. بارق: برق.
- ٢٩٧ ما كان أروح: ما كان أسر. تخونتها: تنقصتها.
- ٢٩٨ بلة الفصاحة: قليل منها. الإحماض: الانتقال من الجد إلى الهزل.
- ٣٠١ السراوة: المروءة والسخاء.
- ٣٠٢ أقبال: جمع قبيل وهو الملك من ملوك حمير.
- ٣٠٣ اثالث على: تتابعت وكثرت.
- ٣٠٧ ارفض عنها الوهن: زال الضعف.
- ٣٠٨ ذكا: اشتعل. العفاء: البلي. خبا: خمد.

الرومان ولد سنة ١٠٦ وتوفي سنة ٤٣ قبل
الميلاد. الاصفاء، أصفى الشاعر: انقطع
شعره. شبل في نعمة أبيه: ربي يحبو
للسابعة: يناهزها. أضراهم أجرأهم. يبلغ
الكتاب أجله: يبلغ الحكم أمده. اللدد:
الخصومة الشديدة. رجال المايين: موظفو
البلاط العثماني أيام الخلافة.

الأريكة: سرير منجد مزين. خبا أوراها:
ضعف شأنها.
٣٠٩ الخانعة: الذليلة.
٣١٩ النافق: الرائع. تجلو عنها أعقاب العلة:
تبرأ من بقاياها. ديمستين: أخطب الناس
في اليونان ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢
قبل الميلاد. شيشرون: أفصح خطباء